

المقطف

الجزء السادس من المجلد الثامن والعشرين

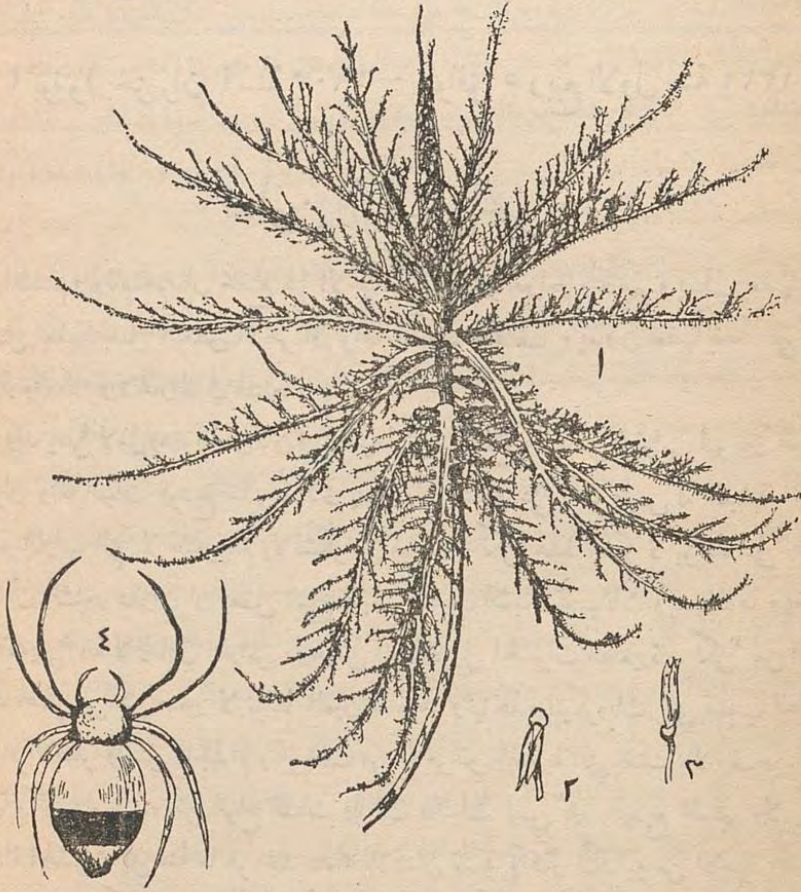
١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٣ - الموافق ٥ ربيع الاول سنة ١٣٢١

تعاون النبات والحيوان

الخصام والوثام ناموسان تخضع لهما الاحياء كلها فتراها تتزاحم وتتخاضم ويسلب بعضها بعضاً ويعيش بعضها بقتل البعض الآخر او تراها تتآلف وتتخالف ويعاون بعضها بعضاً على مبداء لاخذ والعطاء والاشتراك في المنفعة

وقد يُظنّ لأول وهلة انه ان كان في الطبيعة هجوم ودفاع واقتناص واقتراس فهو بين طوائف الحيوان واما النبات فوديع سليم يُعتدى عليه ولا يعتدي على احد وليس له معيشة الا من عناصر التراب التي لا تشعر بالام ولا تشكو من مصاب . لكن هذا الحكم لا يؤخذ على اطلاقه فقد بين الشهير دارون ان بعض انواع النبات ينصب الشباك للحيوانات ويصطادها ويغتذي بها . وبديهي انه لا يحاول اقتراس الوحوش الكبيرة بل الحشرات الصغيرة . لكن من النبات انواعاً اصغر من كل صغير لا تراها العين لصغرها وهي هذه الميكروبات التي تسبب الطاعون والهواء الاصفر والسل والجذام ونحو ذلك من الامراض المعدية التي تفتك بالالوف من الناس والبهائم كل عام فهذه من انواع النبات ولذلك فالنبات ليس كله بالوديع السليم ولا يكتفي بعاداة الحشرات بل منه ما هو اشدّ عداءً للانسان نفسه واكثر فتكاً به من الاسود الضواري غير ان الميكروبات النباتية لا ترى بالعين كما تقدم فلا يندهش العقل من انعاها كما يندهش من رؤية نبات كبير يسطر اوراقه كأنها بسط وثيرة موشاة بالدجاج حتى اذا لمستها ذبابة مجذوبة اليها بجبال منظرها انطبقت الاوراق عليها وضيق خناقها الى ان تميتها ثم تمتص دمها وتغتذي بلحمها . او من رؤية زهرة بدعة المنظر ينتشر شذاها الطيب او ريحها الخبيث حتى تراها الحشرات تغرى بمنظرها او تشم رائحتها فتتخذع بها وتظن فيها ارباً طيباً او لهما منتناً

فتقع عليها ولا تعود تقوم بل تسكر سكرة الموت ويمسي الأكل أكلًا والمفترس فريسةً وظاهر الامر ان كل النباتات التي تصطاد الحشرات انما تصطادها لمنفعتها لكي تغتذي بها لا لغرض آخر . لكن من النبات ما يفعل ذلك مسخرًا للحيوان اي انه يصطاد الحشرات لا لكي يغتذي بها هو بل لكي يغتذي بها الحيوان مثال ذلك نبات صغير ينبت في بلاد الراس في جنوبي افريقية وهو نجم يعلو نحو اربع اقدام وله اوراق دقيقة متشعبة كما ترى في هذا



الشكل مغطاة بهلب عليه مادة لزجة اذا وقع الذباب عليها التصق بها فيستعمله الاهالي هناك لمسك الذبان ولا ترى نباتاً منه الا وترى الحشرات الصغيرة من البعوض ونحوه لاصقة باوراقه هناك نوع من العناكب وهو المرسوم تحت الرقم ٤ في الشكل ابطل نسج البيوت واعناض منها هذا النبات حاسباً انه نشأ لاجله . والمادة الدبقة التي تلتصق بها الحشرات لا تلتصق بها هذه العناكب فتبني لها عشاشاً صغيرة بين اوراق النبات تبيض فيها وتربي صغارها وتؤدي

اليها ترصد فرائسها كأن أوراق النبات خيوط البيوت التي تنسجها العناكب مصائد للذباب حتى اذا قاد ذبابة حنقها الى الوقوع على هذه الاوراق فلصقت بها هجمت العنكبوت عليها واقتربتها غنمة باردة كأن هذا النبات مسخر لخدمة هذه العناكب

وفي بلاد بورنيو نبات آخر من النوع الذي يزهر ازهاراً كبيرة كالاباريق ويكون فيها سائل تقع فيه الحشرات فيرصد لها نوع آخر من العناكب حتى اذا وقعت هجمت عليها العناكب واقتربها. ويقال ان هذه العناكب اذا شعرت بخطر دنا منها غاصت في ذلك السائل واخفت عن الانظار وهناك غريبة اخرى متعلقة بالنبات الذي صورناه آنفاً وهي ان من الذباب الذي يقع عليه ذبابة لا يلصق دبقه بها ولا تخشى منه شرّاً بل تنفّعه منه خيراً لان في ازهاره ارباباً سكراناً فتقصده لاجله ولها حمة تحرق جوف الزهرة بها وتمتص الاري (العسل). ولكن النبات لا يسلم عسله عفواً ولا الذبابة تنتفع منه وتحجم عن نفعه بل علمت سنة الاخذ والعطاء وجرت عليها. فان سمات الزهرة اي الخيوط الدقيقة التي فيها او اعضاء التلقيح تكون اولاً نازلة الى الاسفل كما ترى عند الرقم ٢ فاذا وقعت الذبابة على رأس الزهرة لتثقبها وتمتص العسل منها ارتفعت السمات حالاً واجتمعت في الاعلى كما ترى عند الرقم ٣ فيطير اللقاح منها حينما تحرك هذه الحركة السريعة ويقع على الذبابة وينقل بها من زهرة الى اخرى فتلقح الازهار بواسطة هذه الحشرات ولو لا ذلك لضعف نسلها وذوت نضارتها

وجملة الكلام انه يقصد هذا النبات نوع من العناكب ونوع من الذباب لغاية معاشية الاول يتخذ مصايد لما يلصق به من الذباب والثاني يجني العسل منه ويحمل لقاحه من زهرة الى اخرى فيستفيد منه ويفيده

الهمة بعد الستين

يظن الكثيرون انهم اذا بلغوا الاربعين فقد جازوا العمر كله ولم يبق امامهم مجال للعمل والسعي وطلب المزيد وتراهم ولسان حالهم يردد ما قاله الشاعر العربي

وما ذا تبغني الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربعين

غير ان هؤلاء ليسوا كل الناس بل لا يزال هناك بقية باقية تحسب ان العمر مهما طال واستطال فالعمل والسعي لا ينفدان منه وان فرص النجاح مبثوثة في ساحة العمر وجوانبه بث الصيد في جوانب الصحراء فان لم يصب المرء صيداً في اوائل يومه اصابه في اخره ولا بد

لقا نص الفرص من السعي والصبر والمثابرة على العمل كما لا بد منها لقانص الوحش والطير .
وكان قد كتب على جبين الزمان ما قاله ابن الوردي

لا ثقل قد ذهبت اربابه كل من سار على الدرب وصل

واعظم شاهد على صحة هذا القول بين معاصرنا المستر مورغان الغني الاميركي الشهير
الذي لم تنقطع الشركات البرقية عن ذكر مشروعاته التجارية العظيمة وخصوصاً ما يتعلق منها
بضم شركات البواخر الاميركية بعضها الى بعض وضم معظم الشركات الانكليزية اليها فانه
حصل معظم غناه بعد ان جاز سن الكهولة ودخل سن الشيخوخة اي بعد ان صار عمره خمسين
سنة . واعظم عمل عمله ونجاح بلوغه انما كان بعد ما بلغ الستين

لما كان ابن خمسين سنة كان صرافاً معتدلاً الثروة فلم يكن يُعَبَّأ به بالنسبة الى كبار
الاغنياء الاميركيين مثل غولد وفندربلت واستور وغيرهم بل كان يملك نحو ١٥ مليون ريال
او عشرين مليوناً . ولكنه لم يقل في نفسه اني جاوزت الخمسين من عمري فلا فائدة لمن بلغ
هذا السن مثلي من السعي والجد بل ثابر على العمل ونسي او تناسى عدد سنه ولم يبال بشباب
غيره ولا هالته رؤوس اموالهم الكبيرة . فانشأ الشركة الكهربائية العمومية في الولايات المتحدة
وكثيراً من المشروعات المالية الكبيرة . فجعل ماله يزيد زيادة بالغة دفعات متوالية لا تقل
الواحدة منها عن ثلاثة ملايين ريال او اربعة

وبعد بلوغه الستين — وهو السن الذي ينقطع معظم الناس عنده عن السعي والعمل
الشاق شرع في مشروع اعظم من كل ما تقدم فضم شركات الحديد الاميركية كلها وجعلها
شركة واحدة رأس مالها ١٥٠٠ مليون ريال . وضم شركات البواخر في بلاده ومعظم شركات
البواخر الانكليزية وجعلها شركة واحدة فعلم الانكليز انه لا يجوز لهم ان يتغنوا في ما بعد
باغنيتهم المشهورة التي مطلعها ” بريطانيا سلطنة البحار ”

ولا يعلم الا الله ما اذا كان بقي في الولايات المتحدة شركات لا يوحدها قبل ما يبلغ السبعين
او الثمانين من العمر ما دام هذا اقدامه وهذه همته واذا صدقت ظواهر الحال فانه يعمر طويلاً
وقد وجهه همه الآن الى جعل الانتخابات التالية لرئاسة الجمهورية مطابقة لاهوائه فاذا
نجح في ذلك ونُصِب في الولايات المتحدة رئيس من صنائه يسمح بانشاء الشركات العمومية
التي تبطل الشركات الخصوصية اتسع له المجال لانشاء شركات اخرى من هذا القبيل فيقبض على
مقاييد الصناعة والتجارة ويصلي اوربا حرباً عواناً لم تر مثلاً ولا ينفعها فيها ما عندها من العدد
والعدد والبوارج والمدافع فتزيد ثروته وثروة بلاده ويكون المستقبل للاميركيين

العمي يبصرون والصم يسمعون

ان لم يكن للتمدن الحالي حسنة يمدح اهلها عليها ومأثرة يحمدون لاجلها غير سعي الانسان في تخفيف بلايا الانسان فكفى بها حسنة تذكر ومأثرة تشكر . وان لم يكن هناك دليل على ما يستطيع الانسان عمله بالصبر والمثابرة والثبات غير الحكاية التي نحن بصدها فكفى بها دليلاً على ان هذه المناقب قد تفعل العجائب . فان كان العمي قد ابصروا والصم قد سمعوا فديماً بيد غير منظورة امتدت مما وراء الطبيعة وخرقت حجابها فهم يبصرون الآن ويسمعون بوسائل طبيعية واسباب منظورة رائدها الصبر ومحوها طول الاناة

هلن كلر فتاة اميركية ولدت سنة ١٨٨٠ وما استكملت سنة ونصفاً من عمرها حتى منبت بمرض ذهب يبصرها وبسمها وبقيت حاسا الذوق والشم فيها طبيعيتين وصحتها حسنة . وبفقد بصرها وسمها فقدت كل واسطة للتفاهم والتخاطب بل فقدت المقدرة على النطق وهي اخص ما يميز به الانسان على الحيوان . ولو فقدت بصرها فقط لكان تعليمها الكلام بسيطاً كتعليمه لسائر العميان ولكنها فقدت معه السمع ولذلك لم تسمع كلاماً حتى ثقله وتعلم النطق فباتت عمياء طرشاء خرساء وبات التخاطب معها امراً مستحيلاً او في حكم المستحيل على انها تعلمت التفاهم بالاشارات فقامت مقام الكلام فصارت تفهم وتفهّم بالاشارات والملمس . واغرب من ذلك انها صارت تكتب وتتكلم . ومن جملة ما كتبت قصة عنوانها "حكاية حياتي" قصت فيها الوسائل التي استعملت لها منذ طفوليتها حتى الآن فقالت في وصف ما تعلمته بين اهلها "هز الرأس ذات اليمين وذات الشمال يقوم مقام الكلمة لا وإنفاضة الى الامام مقام نعم . وجذب المخاطب باليد مقام تعال ودفعه مقام اذهب . وكنت اذا اردت ان اطلب خبزاً وزبدة لا اكل اقلد حركات قطع شرائح الخبز ودهنها بالزبدة . واذا اردت ان يصنعوا لي شيئاً من الدندمة للعشاء كنت اقلد حركات صانع الدندمة وحركات الذي تأخذ القشعريرة من البرد . ولما بلغت الخامسة من عمري تعلمت طي الثياب النظيفة بعد غسلها وكنت اميز ثيابي من ثياب غيري"

ولما بلغت العاشرة من عمرها كتبت تقول "لما كنت طفلة صغيرة كنت اجلس في حضن امي واكره ان اترك وحدي وكنت اضع يدي على وجهها واسر بجمش شفتيها وهي تتكلم فلم اكن اعلم حينئذ ما اذا كانت تفعل لاني كنت اجهل كل شيء"

وقصت قصصاً أخرى عما تذكرته من أمور طفوليتها يجتري بما تقدم منها ونذكر بعض الشيء عن طرق تعليمها : وذلك ان اهلها اتوها بمعلة في ٣ مارس سنة ١٨٨٧ اي بعد ما بلغت السابعة من عمرها . وهالك ما قالت المعلة في وصف اجتماعها بها المرة الاولى قالت : — ” استعملت لتعليمها في بادىء الامر لعبة صغيرة وكعكة لانها كانت مولعة باللعب واكل الحلويات شأن الصغار . فاعطيتها اللعبة ورسمت اشارات حروف اسمها باصبعي في كفها . فابدت الحيرة ومستت يدي فاعدت ذلك لها فقلدت حركات يدي واشارت الى اللعبة . وبعد ذلك اخذت اللعبة منها على نية ان ارجعها اليها بعد ما تتعلم رسم حروف اسمها جيداً ولكنها ظنت اني اريد سلبها اياها فغضبت وحاولت استرجاعها مني فلم اعطها اياها بل قدمت لها الكعكة ورسمت حروف اسمها في كفها فلدت يدها لاخذها ولكنها ترددت في اعطائها اياها واعدت رسم الحروف في كفها فقلدتني حالاً فاعطيتها الكعكة ”

وبقيت المعلة نحو اسبوعين على هذه الحال وهي ترسم اسماء بعض الاشياء والافعال في كف الفتاة مثل اللبن والماء والاب والام ومشى وجلس فتعلمها ورسم في ذهنها ان جميع الاشياء يعبر عنها بالحروف والاشارات فجعلت تسأل عن اسم كل شيء عثرت عليه منذ ذلك الحين اي عن الاشارات الكتابية التي تدل على ذلك الشيء حتى تعلمت مرة ثلاثين اسماً جديداً في ساعات قليلة . وفي ٢٢ مايو بلغ ما تعلمته نحو ٣٠ كلمة . وفي ١٩ يونيو ٤٠٠ كلمة وفي آخر اوجسطس ٦٢٥ كلمة . وفي آخر السنة الاولى من تعليمها ٩٠٠ كلمة

ولم تطل الحال عليها حتى اخذت نتعلم الجمل بعد الكلمات . وكانت قد كتبت مكتوباً مؤلفاً من ٣٠ كلمة بعد اربعة اشهر من شروعها في تعلم الكتابة . سنة ١٨٩٠ بلغت السنة العاشرة من عمرها وكانت قد انقنت التخاطب بالاشارات اليدوية مع من يفهمها ولكنها ابدت رغبتها في التلفظ والنطق باللسان بدلاً من الاشارات باليد وقد قالت في ذلك ” وكنت أحدث اصواتاً واضع يداً على عنقي واخرى على شفتي ” . وكنت اسرُّ بكل شيء يحدث صوتاً حتى اني كنت الذ بوضع يدي على عنق القط وهو يموت والكلب وهو ينج والمغني وهو يغني ” . وسألت معلمتها يوماً ” كيف تستطيع بنت عمياء ان تبلغ السامعين مرادها بواسطة فمها ” فاخذت المعلة يدي الفتاة ووضعتهما الواحدة على عنقها والاخرى على شفتيها وجعلت تتكلم فشعرت الفتاة بحركات الخنجرة والشفنتين ثم جعلتها تقلد تلك الحركات على قدر الامكان فتعلمت بذلك احداث الاصوات . وبعد صبر طويل ومشقة كثيرة وسنين من التمرين تعلمت كيفية النطق ولكن جاء نطقها ناقصاً غير مفهوم جيداً بعيداً عن النطق الطبيعي

ولم تزل نتقدم شيئاً فشيئاً حتى دخلت كلية ردكلف واخذت نتعلم مبادئ الفلسفة كل ذلك وهي لا تسمع ولا تبصر. فاذا اراد رجل غريب محادثتها وضعت اصابعها على شفثيه وعنقه وقرأت الاصوات عند خروجها من فيه ولكن يقتضي ان يكون التكلم معها بطيئاً واضحاً . وبهذه الطريقة تعلمت التكلم بالفرنسوية والالمانية والايطالية

وهي شديدة التأثير باهتزازات امواج الهواء حتى يخيل للناظرين اليها انها تسمع الاصوات ممعاً. وقد كتبت في هذا الصدد نقول اذا امسكت يد انسان شعرت بما يدور في نفسه وايدي الذين النقي بهم فصيحة ولو كانت لا تنطق فملس بعض الايدي يدعو الى الاشتمزاز وملس غيرها يدل على ان قلوب اصحابها خالية من كل مسرة فكنت اشعر حينما المسها كأنني اصافح زوينة في القطب الشمالي . واياي غيرهم كانت تفيض بنور كنور الشمس فاذا لمستها شعرت بحرارة دبّت في قلبي ولذلك كنت اسر بمصافحة الاصدقاء المحبين كما اسر بتلاوة مكاتيبهم وكنت اقف وسط الكنيسة عند اللعب على الارغن الكبير فاشعر بصدمات امواج الصوت لجسمي كما تصدم امواج الماء السفينة الصغيرة في البحر . قالت معلمتي في وصف تجربة جربوها معها وهي في الثامنة من العمر ليعلموا ما اذا كانت تسمع او لا " فكانوا يصفرون لها ويحدثون اصواتاً اغنيادية فندير رأسها وتبتسم كأنها سمعت ما جرى حتى دهش الحاضرون وكنت واقفة بجانبها وماسكة يدها فظننت ان التأثيرات كانت تنتقل مني اليها فوضعت يديها على مائدة كانت امامها ووقفت بعيدة عنها وجعل الحاضرون يصفرون ويحدثون اصواتاً ولكنها لم تبد حراكاً ولم يظهر عليها انها علمت بما كان يجري "

وكانت تطمح منذ صغرها الى دخول المدرسة ولما دخلتها اظهرت اقتداراً خصوصياً في اكتساب اللغات ودرس التاريخ والادب وقد نشرت كتابها المشار اليه وهي لم تَم السنـة الثالثة في كلية ردكليف المتقدم ذكرها

وكانت تدرك خطب الاساتذة باشارات تروم لها في كفها وهالك ما قالته في هذا الصدد " كانت كلمات الخطيب تكتب حروفها في يدي بما يمكن من السرعة فاشعر بها واقرأها بسرعة فائقة فتمر المعاني في ذهني سباقاً لحاقاً ولا اظن ان اللواتي كن يسمعن الخطيب ويكتبن ما يسمعه كن يدركن من معانيه اكثر مما ادرك "

اي انها كانت تسمع بكفها ما يسمعه غيرها باذنه وقد ذكرنا ذلك لبعض النباء حين كتابة هذه السطور فاستغربوه واستبعدوه ولم يصدقوه ولا ندري كيف يصدقون ان الاذن نتأثر من تموجات الهواء تأثراً يكفي لجعل العقل يدرك معاني الالفاظ او ان العين

تأثر من أمواج النور المنعكسة عن الكتابة تأثراً يكفي لجعل العقل يدرك معناها ولا يصدقون ان الكف تأثر من كتابة الكلمات فيها بالاصبع تأثراً يكفي لجعل العقل يدرك معانيها. واي واحد من المبصرين يغمض عليه ويضع يده على كتاب ولا يعلم انه كتاب او يضع يده على تفاحة ولا يعلم انها تفاحة او يضع انامله على كتابة كبيرة بارزة الحروف ولا يقرأها اذا كان يستطيع القراءة. وعلى هذا النحو كانت هذه الفتاة تدرك ما تلمسه باناملها او ما يكتب في كفها الا انها مرت شعورها فصار ادراكها سريعاً جداً وقامت فيها حاسة اللمس مقام حاستي السمع والبصر

اما حاسة الشم فليست من الحواس التي يكثر الاعتماد عليها ولكن اذا فقد الانسان حاسة او حاستين فلا عجب اذا مرّ الحواس الاخرى وقواها ولذلك قويت حاسة الشم في هذه الفتاة كما يستدل مما جاء في كتابها. من ذلك قولها "مشينا الى العريش. رتشدن اليه برائحة الميعة التي كانت تغطيها واذا بتغير عظيم حدث في الجو لاني شعرت بانخفاض حرارة الشمس فعلمت ان الغيم حجب وجهها. وشممت من الارض رائحة غريبة وهي التي كنت اشمها منها قبيل العواصف الكهر بائية". وقولها "كنت يوماً من ايام الربيع جالسة في المصيف اقرأ فشممت رائحة عطرية لطيفة ثم تبينتها فاذا هي رائحة زهر السنط". وقولها "كنا نسرّ بالخروج الى الغابات في عصر النهار واستنشاق الرائحة العطرية التي تعبق من الارض في اواخر النهار" وقولها "شعرت بسعال الريح من حركات عيدان الذرة واوراقها وبشخير الفرس لما امسكناه ووضعنا اللجام في فمه. ولا انسي رائحة نفسه النفيلة". وقالت في وصف زيارتها للدكتور هلمس "لما دخلت غرفته شممت رائحة الجلود وحبر الطباعة فعلمت انها مملوءة بالكتب" وقال الاستاذ جسترو الذي نقلنا عنه ما تقدم انه سواء سار الانسان بالاكسبرس او بمركبة عادية او سار ماشياً على قدميه فالوصول الى المكان المقصود هو واحد كيفما كان السير اليه الا ان الطريقة الاولى سريعة والثانية بطيئة والثالثة متعبة وهذه الفتاة فقدت الحاستين اللتين يكون الاعتماد عليهما عادة في اكتساب المعارف ولكنها استخدمت حواسها الاخرى فبلغت الغرض المطلوب ولو بمشقة. وقد قالت في هذا الصدد "اني لما رأيت نفسي محرومة السير في السبيل المطروق لنيل المعارف اضطرت ان اسير اليها في طرق غير مطروق". ومن رأي الاستاذ جسترو ان قواها العقلية فائقة جداً ولا سيما في تعلم اللغات وكتابتها يدل على انها ممتازة بتوقد الذهن وقوة الذاكرة ودقة الملاحظة وسرعة الخاطر ومحبة الادب واتساع المدارك ومحبة الطبيعة والكتب هذه هي الصفات التي اشتركت في تكيف حياتها ومطالبتها

منزلة الشعر من التاريخ

١٧ الطب

الطب من ادلّ البينات على المدنية وقد سبق لنا الاتيان بالشواهد العديدة على سمو مكانة العرب في الهيئة الاجتماعية فكان من التحتم علينا ان نورد شواهد الطب عندهم. قال عنتره العبسي في صفة جس الطيب العليل

يقول لك الطيب دواك عندي اذا ما جسّ كفك والذراعا
ولو عرف الطيب دواء داء يرد الموت ما قاسى النزاعا

وقال النابغة الذبياني

وقد حال همّ دون ذلك شاغل مكان الشغاف بتغييه الاصابع^(١)
وقال جرير بن عطية الخطابي من ايات "غمز الطيب نغانغ المعذور"^(٢) وقال ايضاً
"غمز الطيب مكان عظم الفائق"^(٣). وذكر المداواة سعيد بن عريض بن عاديّا في قوله
لباب داويني ولا ثقلي قد فضل الشافي على القاتل

فمن امراضهم الحمى وقد ذكروا منها اربعة انواع الصالب والنافض والورد والريع فشاهد
الصالب قول الاخنس بن شهاب التغلبي

وقفت بها ابكي واشعر سخنة كما اعتاد محمومًا بخير صالب^(٤)
وقال المتلمس يصف جارية

فلوان محمومًا بخير مدنفاً تشق رياتها لاقاع صلبة
وشاهد النافض قول طهمان بن عمرو

ألا حبذا والله لو تعلمانه ظلالكما يا ايها العيان
وماؤكما العذب الذي لو شربته وبني نافض الحمى اذن اشفاني^(٥)
وشاهد الورد قول مزّر د اخي الشماخ

(١) الشغاف غلاف القلب ويروى داخل دخول الشغاف فيكون الشغاف اسم داء يدخل تحت الشراسيف في البطن

(٢) الغمز الجس او الخمس . والنغغ اللجمة في الحلق عند اللهازم ج نغغ . والمعذور من اصيب بالعاذور وهو داء في الحلق (٣) الفائق مرسل العنق والراس

(٤) يحيى الحمى التي معها حر شديد وليس معها برد (٥) النافض حي الرعدة

اذا ذكرت سلمي على النأي عادي ثلاثي قعقاع من الورْد مُردم^(٦)
 وحى الربع اوحى ربع هي ان يحمّ العليل يوماً ويترك يومين قال اسامة بن حبيب الهذلي
 من المربعين ومن آزل اذا جنته الليل كالناحط
 وآلازل من اصيب بشدة . والناحط من صات من الاعياء
 ومن امراضهم السل قال عروة بن حزام
 بي السل اوداء الهيام اصابني فاياك عني لا يكن بك ما ييا
 وقال يزيد بن الحكم
 وقال النطاسيون انك مشعر سلاًلاً ألب انت من حسد جوي^(٧)
 ومن هذا القول نستدل انهم كانوا يستدلون على السل بالخول . وعرفوا السقي وهو ماء
 يقع في البطن قال ابن احمر الباهلي
 ارانا لا يزال لنا حميم كداء البطن سلاً او صفاراً^(٨)
 والطاعون قال عروة بن حزام
 فما لكما من حاوين ريمتا بحمي وطاعون الا ثقفان
 وقالوا بان الامراض العضالة تنشأ عن بعض الامراض الخفيفة الوطأة قال مسلم ابن سعيد الوالي
 وكنت لهم كداء البطن يؤذي وراء صحيحته داء عياء
 وذهبوا الى ان بعض الامراض لا دواء لها قال قيس بن الخطيم
 وبعض خلائق الاقوام داء كداء البطن ليس له دواء
 وبعض الداء ملتس شفاء وداء الحُمق ليس له شفاء
 ولعل هذين الشاعرين يريدان بداء البطن داء الزحير
 واما المداواة فكانوا تارة يحمون المريض من بعض الاطعمة قال كعب بن سعد الفنوي
 نقول سلمي ما لجسمك شاحباً كأنك يحميك الطعام طيب
 وذلك لانهم كانوا يقولون بتولد الامراض من الطعام قال شمير بن الحارث الضبي
 أمط عنا الطعام فان فيه لا كلة النقاصة والسقاما
 وكانوا في مداواتهم تارة يستخدمون بعض الاعشاب او بعض الثار قال رؤبة

(٦) القعقاع الحمى التي تقع الاضراس والثلاحي الشديد والورد قبل هي الحمى وقيل يوم الحمى اذا
 اخذت صاحبها . واراها نوعاً من الحمى والمردم الدائم
 (٧) الجوي من به الجوى وهو داء القلب
 (٨) الصفار الماء الاصفر يجتمع في البطن

ان كنت من دائك ذا افلاس فاستقش^(١) بشر القسقال
وقد ذكر النابغة الذبياني مداواة السليم (المسوح) بقوله
فبت كاني ساورني ضئيلة من الرقش في اناياها السم نافع
يسمى في ليل التمام سليما حلبي النساء في يديه قعاقع
اي انه كانوا يسمدون^(٢) الى الصباح واضعين في يديه الحلبي ذات القعاقع فيمتنع عنه النوم
ويجفوه الكرى وعملهم هذا نجم عن ذهابهم الى ان السم يدب فيه اذا نام بخلاف ما لو كان
سمدا وعلى هذه الحكمة جاء قول ابي تمام الطائي

وليل بت اكلاه كاني سليم او سهرت على سليم
وكانوا يداون المكلب بالكي قال النابغة الجعدي

وقوم يهينون اعراضهم كويهم كية المكلب

واستمعوا اني ايضا لغير المكلب قال يزيد بن الحكم

فما برحت نفس عدو حشيتيها تذيبك حتى قيل هل انت مكتوي
واستمعوا الذرور للجراح قال عبيد الله بن عتبة بن مسعود

شقت القلب ثم ذررت فيه هواك فليم فالتام الفطور^(١)

واستمعوا للجراح القتائل ايضا كما جاء في التهذيب "ترد على السابري السبارا"

والسبارا الفتيلة . واستمعوا الجبائر للكسر كما اورد ابو تمام في ديوانه الحماسة

بني اسد الا تنحوا تطأكم مناسم حتى تحطموا وحوافر^(٢)

ضممنكم من غير فقر اليكم كما ضمت الساق الكسير الجبائر

وكانوا يعالجون المصفور بقطع النائط وهو عرق مستبطن الصلب تحت المتن قال العجاج

بصف ثور وحش ضرب الكلب بقرنه فخرج منه دم كدم المصفود او المصفور

وبج كل عاندي نعور قضب الطيب نائط المصفور^(٣)

وهذا الشاهد نستأنس به ان العرب عرفوا البزل من باب دلالة البعض على الكل

ومن طرق المداواة عندهم ان يستقطروا من دماء الملوك والشرفاء فيستعملوه دواء للكلب

(١) الفاس ما خرج من الحلق مل الفم او دونه وليس بقي والفسقاس بقلة تشبه الكرفس

(٢) جمع فطر وهو الشق (٣) مناسم جمع منسم وهو خف البعير

(٤) بج شق وكل عاندي كل عرق عاندي والعاندي الذي لا يرقأ له دم ونعور ينعر بالدم اي يغور
والقضب انقطع والمصفور الذي يخرج من بطن الماء الاصفر

وللمجنّة (الجنون) وللخبل . قال الكميّ الاسدي في مديح آل البيت

احلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفي من الكلب

وقد علق العلامة الدسوقي في الجزء الثاني من حاشيته على مختصر التفتازاني على التلخيص كلاماً نوره يُجرو فيه وهو " قيل بشرط كون ذلك الدم من اصبع من اصابع رجله اليسرى فتؤخذ منه قطرة مع قمره وتطعم للمعضوض يجد الشفاء باذن الله تعالى . وقيل دم الملوك نافع لذلك الداء مطلقاً اي من اي محل كان ولهذا كانت الحكمة توصي الحجامين بحفظ دم الملوك لاجل مداواتهم هذا الداء به " . وقال المتلمس في مداواة المجنة والخبل (افساد الاعضاء والفالج) من الدارميين الذين دماؤهم شفاء من الداء المجنة والخبل

ودعي المشتغل بمداواة الجراح طبيباً كما مرّ معنا في شعر العجاج وآسياً قال الخطيئة حتى اذا ما بدا لي غيب انفسكم ولم يكن لجراحي فيكم آسي ولربما كانت دعوة المداوي الجراح بالطبيب تجوزاً والصحيح ان يدعى آسياً وقد ذكر الاثنين معاً الخطيئة في قوله

هم الآسون أم الرأس لما تواكلها الأظبة والإساءة

وكانت النساء يتعاطين معالجة الجراح قال قيس بن الخطيم

يهون عليّ ان تردّ جراحي عيون الاواسي اذ حمدت بلاءها^(١)

وقد روى ابو الفرج الاصبهاني في اغانيه ان احد الاعراب زار بني اود لتكحلّه امرأة من رمد اصابه فقالت له اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينيك فاضطجع وتمثل بقول الشاعر

اخترمي ريب المتورث ولم ازر طبيب بني اود على الناي زينبا

فضحك وقالت اتدري بن قيل هذا البيت قال لا قالت في فانا زينب طيبة بني اود . وكانت هذه المرأة مشهورة بين العرب باحكام العلاج وطب العيون

وقد ضرب المثل في الطب بابن حذيم قال اوس بن حجر

فهل لكم فيها المي فاني طبيب بما اعيا النطاسي حذيم^(٢)

يريد ابن حذيم واما معالجة الحيوان الاعجم فقد ذكر النابغة الذبياني مداواته بالكي قال

لكلفتني ذنب امرئ وتركت كذي العر يكوى غيره وهو رافع^(٣)

وبالطلي بالقار قال

(١) الاواسي جمع آسية وجاء في نطاسي نطيس قال رؤبة وقد اكون مرة نطيسا . طباً
ادواء الصبي نطيسا . والقربس الماهر النظار المدقق
(٢) العر الجرب
(٣) العر الجرب

فلا تتركني بالوعيد كانني الى النار مطلي به القار اجرب
وبالقطران ايضاً قال القلائخ المنقري "اني انا القطران اشفي ذا الجرب" وقال
دريد بن الصمة

متبدلاً تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع الثقب^(٧)

وبالفصد قال النابغة الذبياني

شكّ الفريضة بالمدرى فانفذها طعن المبيطر اذ يشفي من العصد^(٨)

وبالبزل قال مرة بن محكان

اقب لم ينقب البيطار سرته ولم يدجه ولم يغمز به عصبا

ذكر هذا الشاهد صاحب معجم لسان العرب في مادة نقب واتبعه بما يأتي

"وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه انه اشتكى عينه فكره ان ينقبها قال ابن الاثير

نقب العين هو الذي تسميه الاطباء القدح وهو معالجة الماء الاسود الذي يحدث في العين

وفي هذا الكلام دليل على ان العرب كانوا يلجئون بجراحة العيون . ولنرجع الى طب الحيوان

فانقول ان الراعي ذكر الجبار في تطيبه قال

وقلت له اقصق بابس ساقها فان يجبر العرقوب لا يرفأ النسا^(٩)

وكان معالج الحيوان الاعجم يدعى مبيطراً كما مر في شعر النابغة وبيطراً كما ورد في شعر

مرة وكما جاء في شعر حميد الارقط يصف فرساً

ولم يقلب ارضها البيطار ولا لجعليه بها حبار^(١٠)

وكانت بعض ادويتهم لا تخلو من خرافة كما مر معنا في شعر النابغة في معالجة الملسوع وكما جاء

في شعر عروة بن الورد العبسي عن مداواة حمى خيبر قال

وقالوا احب وانق لا تضيرك خيبر وذلك من دين اليهود ولوع

لعمرى لئن عشت من خشية الردى نهاق الحمير اني لجزوع

اي ان من اراد السلامة من حمى خيبر عليه ان يحجو نظير الحمار وينهق عشر مرات وبما ان

الطب عندهم كان لا يخلو من الخرافات والشعوذة كانوا يسمون الطبيب عرافاً قال عروة بن حزام

وقلت لعراف البامة داوني فانك ان ابرأتني لطيب

وقال ايضاً جعلت لعراف البامة حكماً وعراف نجد ان هما شفياني

(٧) الهناء القطران والنقب المجرب (٨) المدرى هنا القرن . والعصد داء في اعضاء

(٩) النسا عرق من الدرك الى الكعب (١٠) الحمير الاثر

الابل فتشق

فما تركا من حيلة يعرفانها ولا سلوة الا بها سقياني
وقالا شفاك الله والله مالنا بما تشتكي منك الضلوع يدان
والعرافة ضرب من الخرافات كما لا يخفى امين ظاهر خير الله

ظاهر العمر

(تابع ما قبله)

ولما اجازت الدولة لابي الذهب الزحف على سورية تجهيز لذلك بما استطاع اليه سبيلاً من جمع الجند وعقد الاولية وحشد الذخائر والمؤن وخرج من مصر بستين الفا على قول الامير حيدر فارتيجت له البلاد وهلعت القلوب. اما ظاهر العمر فانه بعث الى يافا ابن اخيه الشيخ كريم الايوب بمجاعة من عسكره سماهم المرادي بالنداوية فاقاموا في قلعتها حتى جاءهم ابو الذهب وحاصر المدينة وضربها بالقنابل ستين يوماً فلما كان في قتل حاميتها ورجالها وكان ظاهر قد لبث في عكا يزيدها تحصيناً ويددخرفيها الاقوات ومهمات الحرب فلما وردته نبال املاك يافا انقضت نفسه وبعث يستحضر الامير يوسف الشهابي وهو يومئذ في بيروت فعقد الامير ديواناً من عظماء لبنان واستشارهم في الامر فلم يروا من السداد اسعاف الشيخ ظاهر خشية من بأس ابي الذهب الا ان الامير يوسف تلطف في الجواب وضمنه رسالة لابي الذهب استعطافاً لخطره على الشيخ ظاهر فابى هذا ان يقدمها لابي الذهب لانه علم انها تذهب صرخة في واد وتابع ابو الذهب زحفه حتى صار في ضواحي عكا فخرج ظاهر منها بولاده وعياله وما يملكون وصحبه في فراره الى صيداء احمد هاشم القنجي الذي كان قد حمل اليه فرمان العفو والولاية واقام عنده مكرماً حتى وقعت هذه الغزوة ولما علم الناس بفراره هلعت قلوبهم وفر الشهابيون من بيروت الى لبنان اما الامير يوسف فارسل الى ابي الذهب كثيراً من الهدايا وكتب اليه يستعطف خطره ويطلب منه الامان فاجابه الى ذلك واراد ظاهر الاجتماع بالامير يوسف لعله يقنعه على موافقته فكتب اليه بموافاقته الى جسر صيداء فخاف الامير غائلة هذا الاجتماع فاباه معتذراً

وكان من الشيخ علي بن ظاهر العمر بعد ذهاب ابيه الى صيداء وقبل وصول ابي الذهب الى عكا انه قصدها واخذ ما فيها من السلع والبضائع لاسيما ما كان منها في خان الافرنج فاغناظ ابو الذهب من جراء ذلك وسعى في القبض عليه فما نال منه ارباباً وقال قولناي ان

علياً حسب ابا الذهب من اصدقائه لما كان بينهما من العهود اثناء امرته على جيش علي بك ولذلك تخلف عن ابيه حين برح عكاء واقام فيها حتى اوجس من ابي الذهب خيفة فرحل اما الشيخ ظاهر فلما رأى انفراده وان حلفاءه الذين كان يشدهم ازره قد ابتعدوا عنه في ابان هذه الشدة ولم يجد من نفسه قدرة على مواجهة ابي الذهب خرج بعشيرته من صيداء الى صفد فخوران ونزل ضيقاً على عرب عزة ولما برح ظاهر صيداء بقي على حكومتها متسلماً احمد اغا الدنكري رئيس فرقة المغاربة يخاف هذا غائلة عصيان ابي الذهب فاسرع بعد فرار مولاه الى مراسلة ابي الذهب في قيامه على طاعنه فسر بذلك وامنه وارسل متسلماً من قبله الى صيداء ومعه مئتان من الغز

واما المتاوله فانهم كانوا في جملة الذين خذلوا ظاهراً ولم يحسروا على مخالفة ابي الذهب حتى ان زعيمهم الشيخ ناصيف النصار لحق به وقدم له عشرين جواداً فقبلها ابو الذهب وطيب خاطره ولكنه لم يسمح له في الرجوع الى بلاده او يأتي سائر مشايخ المتاوله ويؤدوه الطاعة وخلت البلاد لابي الذهب فاستولى على صفد وما اليها وهدم قلعة دير حنا ومار الياس الكرمل وقتل رهبانه وبعث رجاله حكماً وحاميات الى البلاد المسئلة له ولكنه يينا كان في طغيانه وجبروته خراً مغشياً عليه ثم افاق وقد جحظت عيناه وجعل يزجر ويصيح ردوا عني الشيخ الغضوب وما زال كذلك حتى قضى نجه فتناقل الناس بشائر موته وسرّوا ايما سرور حتى نظم السيد احمد البربير شاعر العصر بيتين قال فيهما

لما دنا نيل المنى والهلم عنا قد ذهب

والسعد اقبل نحونا ارخت مات ابو الذهب

واختلف الناس في سبب موته فذهب قوم الى انه اصاب بمرض فجائي وقال آخرون ان ظاهراً بعث من دس له السم في طعامه

ولما مات ارتد جيشه ورجاله من مواضعهم وحملوه الى مصر واغتنم الشيخ ناصيف النصار فرصة الاضطراب في جيش الغز فنهب كثيراً من الاموال والذخائر وحملها الى بلاده وكانت رسل الامير يوسف قادمة لابي الذهب بهدايا وتحف فلما عرفت بموته رجعت الى مرسلها وطمع المتاوله بالغز قبل رحيلهم من صيداء فحملوا عليهم وانقعوا فانكسر المتاوله ورجع الغز من المتاوله سالمين وما لبث ظاهر ان عاد بعشيرته واسترجع بلاده واقام فيها احكامه ورجاله على ما كان من امره فيها قبل فراره الا ان ذلك لم يكن طويلاً لانه لان الدولة كانت قد صممت من قبل على كبتة فلما علمت بمصرع ابي الذهب وارتداد عسكره جهزت اسطولها تحت امره حسن

باشا الجزائري فلما بلغ مدينة صيداء ارسل ظاهراً في اداء المال السلطاني الباقي عليه فيبقى على عائلته على ان ظاهراً كان قد ملّ الحرب لبوغيه التسعين من عمره ولانه رأى ان الروس صاروا على وشك مصالحة الدولة العلية بحيث تنقطع اماله من مساعدتهم وتنفريخ الدولة لاقتناصه ومعاقبته فرغب في موادة رجال الدولة واجابتهم الى الاخلاص في الطاعة غير ان لكل شيء آفة من جنسه ذلك ان بنيهم كانوا ما يرحوا ينقمون عليه ما سبق الاملاخ اليه من اماله تعيين خلفه منهم وامساك التوسعة عليهم في المال حتى انه كان لا يتخذهم للاستعانة بهم في القتال دون ان يصغي الى مشورتهم او يعمل بما يريدون وانما كان موضع سره ومشيده رجل اسمه ابراهيم الصباغ وقد اتخذته قيمياً على امواله وارزاقه ومدبراً لتجارته وازدادت ثقته به بنسبة ابتعاد ابنائه عنه في آرائهم واعمالهم فكان كلما انس منهم استيخاشاً ازداد للصباغ اقترباً وبه ثقة ورأى الابناء ذلك من ابيهم فزادوه جفاءً فاصبحت ثقة ظاهر محصورة بالصباغ وصار الاستيخاش منه عاماً بين رجاله واخصائه وزاد الحال شدة حين حسدوا الصباغ على تزايد ثروته المستمرة تحت ثوب الفقر المدقع

فلما وردت مراسلة امير البحر جمع ظاهر ابنائه ورجاله وتلاها عليهم فدارت المذاكرة واحندم الجدال اذ ان بعضهم رأوا السداد في وجوب اداء مال الدولة العلية وفاء للعهود وابقاء على ما بايدهم من البلاد فقال ظاهر الى قولهم ولئن قال بعضهم بمناهضة امير البحر وقتاله فلما سمع ابراهيم الصباغ بما كان من رأي مولاه انكر وجود مال يكفي مطلب الدولة فانبرى لمحاجته احمد اغا الدنكلي الذي كان متسلماً في صيداء وقال اعطني مئة الف درهم احملها الى حسن باشا ولا ارجع الا بعد الامان وثقير الولاية وفوق ذلك اعلم يا ابراهيم ان سيف الدولة طويل والخروج عليها عسير وليس مما يستطيعه كل انسان ولا يرضى به الناس فاجاب الصباغ ليس عند الشيخ الا سيف يلعب ونار تسطع وقام من المجلس وانصرف

فلما رأى الدنكلي ان ظاهراً مال الى الصباغ ورأيه خرج مغضباً واذ كان رئيس المغاربة الذين في خدمة ظاهر وبايديهم القلاع والحصون قصد اتباعه وابناءهم بغرور القوم وان الخروج على الدولة حرام في الاسلام واوعز اليهم ان يعطوا المدافع فلا تضرب سفن الدولة بايديهم واذا جاءهم احد من رجال ظاهر لا يمكنوه من الدخول اليهم وكتب الى حسن باشا يخبره بما كان وكان الباشا قد استبطاً الجواب من ظاهر فاقبل بسفنه نحو عكا فلما اقبل عليها واطلق القنابل اراد ظاهر ان يقابلها بمدفعه واوعز الى المغاربة ان يفعلوا فاجابوه حاشا لله ان نقاتل سفن الدولة فامرهم ان يخرجوا من الابراج فابوا واخبروه انهم عطّلوا المدافع حتى لا تصلح

للضرب فلما علم بذلك وهت عزائمهُ فرأى ان يولي الادبار فركب وقصد باب المدينة واذا
بمغربيٍّ صوب النار عليه واطلقها فاصابه ورماه ميتاً
اما اولادهُ فكان قد ارسلهم لحشد العساكر من البلاد فلما علموا بمقتله فرّوا الى جبل
عامل ملتجئين الى الشيخ ناصيف النصار زعيم المتأولة
واراد ابراهيم الصباغ ان يفرّ كمولاهُ فما استطاع بل اخبأ في منزل رجل يقال له علي
درويش حتى اذا فاز حسن باشا بدخول عكا واستولى على اموال ظاهر وتجنّبه من مستودع
الصباغ وقيمتها على ما قال الامير حيدر زهاء اربعين الف درهم نقوداً غير الخيول والسلاح
والتحف وغير الحقائق والبساتين والدور والحوانيت التي ضبطها طلب الصباغ فسلّمه مضيفهُ
علي درويش فعذبهُ كثيراً حتى اعترف بكل ما يعلمه من اموال ظاهر ثم امر به فشُق في
احدى السفن

ولقد مرّ بنا خبر مقتل ظاهر العمر ولم نقل في وصفهِ شيئاً مع انه جديرٌ بالوصف اذ كان
من افراد الرجال في الشجاعة والفروسيّة ومعرفة ابواب الحرب حتى قال فيه قولناي انه مرّ على
سورية زمنٍ طويل لم تر له مثيلاً

وقد كان مقتدرًا في السياسة وفيه حكمةٌ ولما ولوا اطماعهُ الزائدة وتشوّفه الى ما فوق
قدرته لما خابت مساعيه على انه كان يكره التحيل والدهاء ويختر الاجهار بمنوياته ولو تكلف
ما لا يطاق وكانت العدالة ضاربةً اظنابها في بلاده لا فارق عنده في شمولها اهل المذاهب المختلفة
اما اولادهُ الذين التجّأوا الى جبل عامل فقد راسلهم حسن باشا للرجوع اليه وامّنهم
على ارواحهم وما يملكون واوعز اليهم انه يقلّدهم مناصب ابيهم تحت طاعة السلطان فاجابوه
الى ذلك ونزلوا اليه وهم عثمان وسعيد واحمد وصالح اما اخوهم الاكبر علي فكان في دير مار
يوحنا آمناً اذ لحق به مغاضباً اباهُ قبل وقوع هذه الحوادث فلما وصل ابناؤه ظاهر الى الباشا
امر بتوقيفهم واذا فرط من احدهم سعيد كلام ضد الدولة العلية امر به فقتل ثم اخذ اخوته في
السفن ونقلهم الى الاستانة الا عثمان فانه جعلهُ شيخ البلد في عكا

وتولى عكا بعد ذلك احمد باشا الجزار المشهور فرأى ان يتعقب علياً كبير ابناؤه ظاهر العمر
فرحف عليه والتفّ حول علي كثير من الجند والاتباع فلم يقتدر على الثبات طويلاً تجاه
عسكر الجزار لا سيما بعد ان قُتل ابناهُ الحسن والحسين فتخاض عن الحرب وقصد العزلة في
بلاد الشوف لكن الامير يوسف الشهابي منعه من سكناها فقصد بلاد نابلس وهناك اجتمع
عليه كثيرون من الناس فكتب الجزار الى باب الدولة يشكو والي الشام محمد باشا العظم بانه

اجار علي الظاهر في بلاده فلما علم محمد باشا بذلك بعث رجلاً من اخصائه اسمه علي اغا القيصري متظاهراً بعداء الوالي فلما وصل اليه قتله اغنياً لا فبعث الباشا برأسه الى دار السعادة اما عثمان بن ظاهر فاقام في عكاء سنةً بمنصب شيخ البلد ثم عزله حسن باشا واخذه الى الاستانة فاقام ثمة على خدمة الدولة نحواً من ست سنين علي غير منهاج ابيه فسرت الدولة به وارسلت من قبلها مباشراً مخصوصاً سنة ١١٩٦ الى صيداء فاخذوا عياله منها الى بروسه وكانت عدتهم ثلاثين نفراً ونال رتبة ميرميران ومنصب خداندكار مؤبداً على ان يقوم باود عياله واخوته وان يخصص من دخله ثلاثة آلاف غرش في السنة لاختيه الشيخ احمد (روى ذلك جودت باشا ونوفل نوفل)

وخلف علي طفلين نبغ احدهما شاعراً مشهوراً اسمه فاضل بك وكذلك نبغ من ابناء الشيخ احمد شاعر مجيد اسمه يوسف خالص بك ذكره جودت باشا ايضاً
ثم تبعثرت الاسرة بمرور الايام وتقلبات الدهور واحط الدهر علي بعضهم حتى اضطرت بعض مخدرات هذا البيت الى التسوّل علي ما قال الامير حيدر في تاريخه فسيحان من بيده الامر . انتهى
جرجي بني

الاخصاء

اذا اجال المستبصر طرفه فيما انتهى اليه ارتقاء العلم على اختلاف ضروبه في بلاد الغرب وقاسه بما وصل اليه في بلاد الشرق من الاضمحلال بعد ان كان في اعلى درجات الارتقاء على عهد الخلفاء الامويين بالاندلس والفاطميين بمصر والعباسيين ببغداد لا يُعتم في الغالب ان ينسب ذلك التميز للاخصاء وهو تعلم علم واحد واخصاص كل طائفة من الناس بما تنصرف وجهتهم اليه ويرون الخير في خدمته من اسباب العلم ومقومات الحضارة . وقد يظن بعض من لا يعرف دروس الغرب واساليب القاء العلوم في مدارس المتنوعة ان كل من اشتهروا وتميزوا بفنٍ ونالوا حظاً وافراً من علم نافع لا نتعدى معارفهم حدود ما هم بسبيله الفيلسوف لا يحسن بزعمهم الانشاء والمنشيء لا يعرف التاريخ والطبيعي لا يحسن الرياضيات والالهي لا يدوق الاجتماعيات والسياسي لا يدرك الاقتصاد ولكن ليس الامر علي ما يذهبون اليه
سألت يوماً احد المبرزين في علوم الاوائل والاواخر من المشاركة لم كان الاخصاء في الغرب نافعاً ولا يتأتى الانتفاع بغيره ولم لا نجد في بلادنا اهل إخصاء فقال التخصيص لا يظهر

الآ بعد التعميم فان الناس في اوربا يقرأون على ترتيب خاص يقضي على الداخل الى المدارس ان يتعلم كل العلوم اللازمة له في حياته حتى اذا وافق بعضها مزاجه او ميله ينصرف اليه جملة فيهر فيه فالاختصاص يأتي من ترقى العلم ليس الآ

قال وهكذا كان شأن سلف هذه الامة العربية ايام كانت دروس العلم حافلة وحلقات المعارف منظمة فقد رأينا مثل ابن السراج المتوفى سنة ٣١٦ نحوياً فيلسوفاً مع انه لا علاقة بين العليين والسيرافي المتوفى سنة ٣٦٨ من أئمة النحو وشارح كتاب سيبويه ذا يد طولى في الفلسفة وكان الفلاسفة يرجعون اليه في علمهم . ورأينا الصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ يستدعي الى بغداد ابا علي الفارسي من مشاهير النجاة ليزوره فيستفيد منه مع ان الصاحب عالم كبير من اهل العلم . والرماني المتوفى سنة ٣٨٤ احد فلاسفة العراق كان نحوياً متكبلاً وهكذا شأن كثير من اضراب هؤلاء ممن نقل عنهم ابو حيان التوحيدي المتوفى على رأس الاربعائة ماذا كراتهم في مقابساته

ثم قص علي ما رواه ابن ابي اصيبعة في ترجمة الرئيس ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ احد فلاسفة الاسلام وهو الذي كتب المجلدات الممتعة في الطبيعيات والرياضيات والالهيات والطب قال كان الرئيس جالساً يوماً من الايام بين يدي الامير علاء الدولة من امراء ما وراء النهر وابو منصور الجبائي حاضر فخرى في اللغة مسألة تكلم الشيخ فيها بما حضره فالتفت ابو منصور الى الشيخ يقول انك فيلسوف وحكيم ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها فاستنكف الشيخ من هذا الكلام وتوفر على درس كتب اللغة ثلاث سنين واستهدى كتاب تهذيب اللغة من خراسان من تصنيف ابي منصور الازهري فبلغ في اللغة طبقة قلما يتفق مثلاً وانشأ ثلاث قصائد ضمنها الفاظاً غريبة من اللغة وكتب ثلاثة كتب احدها على طريقة ابن العميد والآخر على طريقة الصابي والآخر على طريقة الصاحب وامر بتجليدها وإخلاق جلدتها ثم اوعز الامير فعرض تلك المجلدة على ابي منصور الجبائي وذكر انا ظفرنا بهذه المجلدة في الصحراء وقت الصيد فيجب ان نتفقدها ونقول لنا ما فيها فنظر فيها ابو منصور واشكل عليه كثير مما فيها فقال له الشيخ ان ما تجهله من هذا الكتاب فهو مذكور في الموضع الفلاني من كتب اللغة وذكر له كثيراً من الكتب المعروفة في اللغة كان الشيخ الرئيس حفظ تلك الالفاظ فيها وكان ابو منصور مجزاً فافينا يورده من اللغة غير ثقة فيها فقطن ان تلك الرسائل من تصنيف الشيخ وان الذي حملة عليه ما جبهه به في ذلك اليوم فتنصل واعذر اليه . ثم صنف الشيخ كتاباً في اللغة سماه لسان العرب لم يصنف في اللغة مثله ولم ينقله الى البياض حتى توفي

فبقى على مسودته لا يهتدي احد الى ترتيبه

قلت ولولم يكن الرئيس درس اللغة في صباه حقّ دراستها انعذر عليه ان يكون في ثلاث سنين من اعلم الناس بها . واذا راجعنا سير الرجال قديماً وحديثاً نرى مثله افراداً ليسوا بقلائل في كل امة وبلد فقد كان الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ عالماً في كل فن وكان الحجة الثبت في كل ما كتب . وكان نضر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ عالماً بالادب والطب والشرعية والفلسفة ” يهاجر اليه الناس من كل ناحية على اختلاف مطالبهم في العلوم وتفننهم فيما يشتغلون به فكان كل منهم يجد عنده الغاية القصوى فيما يرومه منه “ . وكان ابن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ اوحده في علم الفقه متميزاً في الطب اوحده في الفلسفة وخلص كتب ارسطاطاليس وجالينوس . وكان عبد اللطيف البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩ فرداً في العلوم العقلية والنقلية كافة غلب عليه الادب اولاً ثم الفلسفة والطب تشهد له بذلك تأليفه فاق مثل هؤلاء الاعلام بما تهياً لهم من النظام المتبع والاسلوب الحميد الذي يتسنى لكل شعب عرف معنى العلم وطرق تحصيله . وربما كان ميل الفرد لعلم دون آخر على درجات تختلف باختلاف التلقي والبداءة فيه . ومن حصلت له ملكة في فن او صناعة ومرت عليها واشتد ساعده فيها يصعب عليه ان يتقن غيرها الا قليلاً اما الاخصاء في فرع من فروع العلم فلا يتأتى الا بعد النظر بالجملة في اكثر الآلات والادوات التي لا غنية لمن يريد ان يوسم بالعلم بدونها . والثقتة وهو الذي يتنف من العلم شيئاً ولا يستقصيه قل ان ينجح في البلاد الراقية وهو مقبول عند المشاركة الآن لضعف العلوم بين ظهرائهم وقد يستفيد صاحبها في الماديات اكثر مما يستفيد المخصي اي المتعلم علماً واحداً مثال ذلك الكاتب في العربية فانه لا يرتزق الا اذا كتب في كل موضوع قليلاً او كثيراً واذا اراد الاخصاء فقد لا يعيش من صناعه وما اشبهه بالشمعة تحرق نفسها لتضيء لغيرها . قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة من اراد ان يكون عالماً فليطلب فناً واحداً ومن اراد ان يكون ادبياً فليتنفن في العلوم

نعم لا يطلب من العالم بالنحو والصرف والبيان والمنطق مثلاً ان يكون من النوابع في الانشاء وانما يعاب عليه كثيراً ان يملأ رأسه بالقواعد حتى اذا جاء ليطبقها ويستعملها ينقطع ولا يخرج جواباً ولا يكتب كتاباً كما لا يرغب من الباحث في الاديان ان يكون راسخاً في سير الافلاك وانما يراد منه ان يكون له نوع من المشاركة في هذا العلم حتى يعرف ما يقول في التوقيت والاهلة ولا يطالب المؤرخ ان يكون متمكناً من العلم الطبيعي والرياضي بل عليه ان تحصل له ملكة قليلة في معرفتهما وهكذا الحال في علوم البشر كافة

قال ابو حاتم السجستاني قدم علينا عامل من اهل الكوفة لم ار في عمال السلطان ابرع منه فدخلت عليه مسلماً فقال يا سجستاني من علماءكم بالبصرة قلت الزيادي اعلمنا بعلم الاصمعي والمازني اعلمنا بعلم النخو وهلال الرازي افقهنا والشاذكوني اعلمنا بالحديث وانا انسب الى علم القرآن وابن الكلبي اكتبنا للشروط . فقال لكتابيه اذا كان غداً فاجمعهم لي فجمعنا فقال ايكم المازني فقال ابو عثمان انا فقال هل يجزى في كفارة الظهار عتق عبد اعور فقال المازني انا صاحب عربية لست بصاحب فقه فقال يا زياد كيف تكتب بين رجل وامرأة خلعهما زوجها على الثلث من صداقها فقال ليس هذا من علمي هذا من علم الشاذكوني فقال له يا شاذكوني من قرأ الا أنهم يشنون صدورهم فقال ليس هذا من علمي هذا من علم ابي حاتم فقال لي يا ابا حاتم كيف تكتب الى امير المؤمنين تصف فيه خصاصة اهل البصرة وما اصابهم في الثمرة من الجوائح وتسأل النظر لهم فقلت انا صاحب قرآن لست بصاحب بلاغة وكتابة . فقال اقبح بالرجل بتعاطي العلم خمسين سنة لا يعرف الا فناً واحداً حتى اذا سئل عن غيره لم يحز فيه لكن عالمنا بالكوفة الكسائي لو سئل عن هذا لاجاب

ومثل هذا الاخصاء يقع في ايامنا لطائفة كبيرة من العلماء والفضلاء في بلاد الافرنج فقد صحبت احد علماء الحقوق من الالمان وكان هبط مصر لتعلم العربية فكنت اذا حدثته في الموضوعات الاجتماعية يتبرم ويحجب اجوبة متقطعة لا تنبئ بتجر ولا بقلّة وقوف مع انه درس في اعظم كليات المانيا على الاصول الحديثة وناهيك بمن يدرس في مدارس هذه المملكة فانه لا يعد متعلماً في الغاية عند اهل اوربا انفسهم الا من قضى اعواماً في مدارس الالمان كما لا يعد متمدناً عندهم الا من زار باريز ورأى حضارة اهلها وازياءهم واهواءهم . واجتمعت مراراً كثيرة باحد اهل الاخصاء في الآثار من الفرنسيين فكنت كلما باحثته في احوال الشعوب والممالك يناقش مناقشة من لا يعلم الا ما هو آخذ نفسه به من دراسة آثار الشام

وقصارى القول ان الاخصاء يتأقن حصوله اذا نظمت طريقة العلم وساعدت البيئة والمحيط على انتفاع المشتغل والمشتغل لهم بثاره الغضة . وقد جمع بعض الحكماء سر الاخصاء في قوله اقصد من اصناف العلم الى ما هو اشهى لنفسك واخف على قلبك فان نفاذك فيه على حسب شهوتك له وسهولته عليك . وقال يحيى بن خالد لا ينه عليك بكل نوع من العلوم تغذ منه فان المرء عدو ما جهل وانا اكراه ان تكون عدو شيء من العلم وانشد

تغنّ وخذ من كل علم فانما يفوق امرؤ في كل فن له علم
فانت عدو للذي انت جاهل به ولعلم انت ثقتنه سلم

وقال آخر يشكو صعوبة التحقيق في العلم

برّح بي اب علوم الورى شيئان ما ان فيهما من مزيد

حقيقة يعجز تحصيلها وباطل تحصيله لا يفيد

دمشق الشام محمد كرد علي

احدى غوامض التاريخ

من يطالع تاريخ اوربا في القرن السابع عشر والثامن عشر ويطالع على ما بزغ فيها من نور العلم والفضل ثم يراجع على ما كان يجري في قصور ملوكها وامرائها من المنكرات لا يعجب من قيام كرومول في انكلترا وحدث الثورة في فرنسا بل يعجب من احتمال النفوس للقهر قرناً بعد آخر من غير ان تزهد. ثم اذا قاس الامم الغربية بالامم الشرقية لم يتوقع ان يرى في اوربا عشر ما يراه فيها الآن من الارتفاع فاننا نحن ابناء المشرق كانت حالنا منذ الف عام اصليح من حال اوربا منذ مئتي عام وقد كرت القرون ولم نرتق قيد شبر بل المرجح اننا زدنا انحطاطاً حتى ماثلت حال كثير من ممالكنا الآن حال اوربا في القرن السابع عشر. ولعل كاتب تاريخ القرن التالي يكتب من سجون الاستانة عاصمة مملكتنا ما كتبه الفرنسيون من سجن باريس عاصمة مملكتهم وهاك طرفاً من ذلك

في الثامن عشر من شهر سبتمبر سنة ١٦٩٨ فتح باب الباستيل سجن باريس المشهور في التاريخ ليمرّ عليه المحافظ الجديد سان مارس وكان راكباً مركبة ستأثرها مدلاة وحولها ثلة من فرسان الحرس الملكي والى جانبه كهل تلوح عليه لوائح النبل ولكن وجهه كان مغطى ببرقع من المخمل الاسود مثبت حول راسه بابازيم من الحديد. وكانا قادمين من سجن سان مرغريت في جنوب فرنسا الذي كان سان مارس محافظاً له مدة سنين طويلة

وكان الملك لويس الرابع عشر يعد سان مارس هذا مقدم السجانين في مملكته فانه وقف نفسه على اتقان خدمته منذ كان عمره خمسا وثلاثين سنة فنال نعمة في عيني مولاه وصار من اخص المقربين اليه. وقد ضاعف همته الآن في المحافظة على السجين وبالغ في الاحتياط عليه فكان ينام بجانبه ويجلس معه على الطعام بجانبه فردان. اما السجين فلم يكن ينبس ببنت شفة بل كان يجلس دائماً وظهره الى جهة النور ولم يحاول مكلمة انسان ولا بالى باهتمام الحرس والناس بمشاهدته في المحطات التي كان يقف ليميت فيها

وبعد ما عبر السجين وسجينه الجسر الذي امام باب الباستيل رُفِعَ الجسر ولم يعد السجين يبرؤ عليه حياً . وسيره الى غرفة في احد ابراج السجن حيث عاش خمس سنوات ولم يعرف الناس من امره شيئاً ولم يرفع البرقع عن وجهه نهائياً ولا ليلاً . لان سان مارس كان قد امر بقتله اذا حاول رفع البرقع عن وجهه . وقبلما كان يتكلم ولم يشك امره البتة الى احد ولا قال لاحد من هو

وكان يعامل بالتجالة والاكرام ويُقدَّم اليه فاخر الطعام والشراب . ويلبس انحر الملابس ويلعب على الرباب ولم يأل سان مارس جهداً في مراقبته كل يوم وارسال التقارير الطويلة الى الملك عنه . فدل ذلك على انه كان اعظم سجين في فرنسا كلها

وقد حاول مرة وهو في سجن سان مرغريت ان يروح بخبره . وبيان ذلك ان الطعام كان يُقدَّم اليه في صحاف فضية فتناول ذات يوم صحيفة منها وكتب عليها شيئاً بسكين ثم التى بهامن نافذة السجن على قارب صياد رسابقاره عند اسفل السجن فتناول الصياد الصحيفة ولكنه كان امياً فظن انها سقطت من البرج اتفاقاً فاخذها الى محافظ السجن وهو لا يدري شيئاً من امرها . فلما قرأ المحافظ ما كتب على الصحيفة اخذته الرعدة والتفت الى الصياد مذعوراً وسأله " هل قرأت ما كتب وهل رآه احد غيرك " فاجابه الصياد انه امي لا يستطيع القراءة ولا الكتابة وانه لم ير احد الصحيفة غيره . ولكن المحافظ لم يطلقه حتى وثق من صحة حكايته فخلّى سبيله قائلاً " ان جهلك القراءة وفاك من الممالك "

وبعد هذه الحادثة وُضع السجين تحت المراقبة الشديدة وهو على المائدة فكانوا يفحصون كل صحيفة يرفعونها من امامه ليكونوا على ثقة من انه لم يكتب عليها شيئاً وكانوا يفعلون مثل ذلك بملايسه التي كان يخلعها حتى انهم كانوا يفحصون الشموع التي توقد في غرفته خشية ان يكون قد انتزع الفتيلة ووضع مكانها ورقة مكتوبة . وكان المحافظ يفتشه كل يوم . فتم بذلك مراد الملك لويس وهو القضاء على ذلك السجين بالموت مجهول الاسم والنسب

هذا ولم يعرف احد كم كانت مدة سجنه ولكن البعض يقول ان امر المحافظة عليه وكل الى سان مارس في سجن بنيارول اولاً ثم في سان مرغريت فالباستيل وتقدر مدة سجنه بخمس وعشرين سنة على القليل وخمس واربعين على الكثير . ولا غرابة اذا لم يحاول الافلات من سجنه بعدان رُجَّح في اعماق الباستيل فان الملك كان شديد القسوة على سجنائه كثير الاكرام لسجانيه مغرمًا بقراءة التقارير المفصلة باخبار العذابات المبرحة التي كان المسجونون يسامونها وهم في السجن فتودي بهم الواحد اثر الاخر . وقد كان هذا نصيب كثيرين من رعاياه بعد

دخولهم ابواب السجون

وفي طليعة اولئك المنكودين فوكة اغنى اهالي فرنسا ووزير ماليته في اوائل ملكه فان غناه اثار الحسد والحقد في قلب الملك فطرحه في سجن بنيارول حيث بقي ست عشرة سنة يذوق غصص الموت ويسام من العذاب الالوان ثم مات ولم يعلم عنه شيء . ويقال انه مات ودفن سنة ١٦٨٤ ولكن بعض الذين يعول على رأيهم قالوا انه هو نفسه هذا السجين المبرقع ومنهم افديك بطريك الارمن في القسطنطينية فانه احتقر الجزويت وازدراهم وكان لويس ناصراً لهم فسعى حتى تمكن من خطفه واحضاره الى فرنسا حيث زجه في اعماق السجون فمات بعد ان فقد بصره وانقطع جبل رجائه من الخلاص ويذهب بعضهم الى انه السجين المبرقع نفسه

ومنهم الجنرال دي بولوند الذي اخفق في حصار مدينة كون وكان مطلعاً على بعض اسرار الملك فخشية ان يروح بهاسجنه فاخفى خبره بعد ذلك وظن البعض انه السجين المبرقع ومنهم ضابط اسمه مار يشيل كان رئيساً لمؤامرة كبيرة دبرت ضد الملك فالفاه الملك في السجين ولم يسمع عنه شيء بعد ذلك . وقد رجح آخر باحث في هذا الموضوع ان هذا الرجل هو صاحب الوجه المبرقع

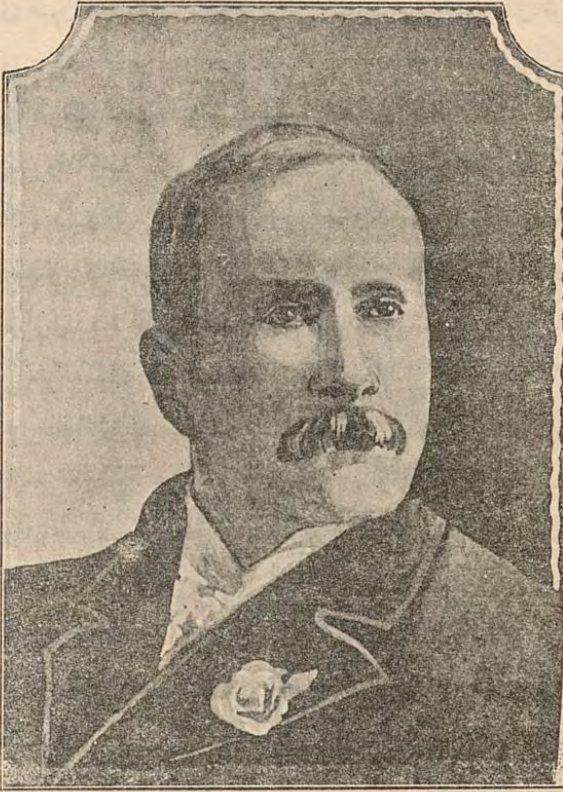
ومنهم الكونت متيولي مستشار الدوق منتوى وهو الذي باع لويس حصن كازال مفتاح بيدمونت باعه اياه سرّاً وكان لويس يطعم في الحصول عليه منذ زمن طويل ولكن متيولي اطلع اسبانيا والنمسا وسافوى على ذلك قبل تسليم الحصن الى الفرنسيين فخلصه وصيرن لويس بذلك الضحكة في اوربا كلها فاوفد من خطف متيولي واحضره اليه فسيجنه ولم يجسر احد ان يسأل عنه وهكذا انطفأ خبره . وقد زعم كثيرون انه هو ذو الوجه المبرقع ولكن ذلك لم يثبت بالبرهان

على ان ذلك كله لا يميظ النقاب عن وجه الحقيقة ولا يزيح الستار عن صاحب الوجه المبرقع ولا ينبئ بسبب وضع البرقع على وجهه لان كل انسان من معاصري لويس علم بسجنه للذين تقدم ذكرهم ولم يحاول احد تخليصهم فلا بد ان يكون هناك باعث آخر حمله على فعل ما فعل . وعليه قام المذهب المشهور الذي هو اقرب الى الخيال منه الى الحقيقة وبني فولتير ودوماس وغيرها من مشاهير الكتاب كتاباتهم عليه وماله ان صاحب الوجه المبرقع هو اخو الملك لويس الرابع عشر من امه فقط او من ابيه وامه او ابن غير شرعي له وعلى الراي الاول هو ابن الملكة حنة من دوق بكنهام او من الكردينال مازارين وعلى الثاني ان بعضهم تنبأ

للويس الثالث عشر بأنه سيولد له توأمان يتنازعا الملك بعده وينبغي نزاعهما الى حرب اهلية في فرنسا. فلما ولد التوأمان ارسل اصغرهما الى فلّاح يربيه كأنه ابنه حتى اذا بلغ التاسعة عشرة من عمره رأى صورة شقيقه الملك واطلع على كتاب من والدته الى مربيه تلح فيه الى سر مولده ففطن الى دخيلة الامر وصرّح بعزمه على الذهاب الى البلاط الملكي للمطالبة بحقوقه فصدرت الاوامر من باريس حالاً بسجنه مدة الحياة فوضع البرقع المذكور على وجهه وجعل سان مارس سجناً له. وقد وجد كتاب من ماري دي مورينا بين اوراق الكردينال ريشيليه وزير لويس وفيه حكاية ذلك السر من اولها الى آخرها ولكن معظم المحققين المحدثين يعتقدون ان الكتاب المذكور موضوع لا حقيقة له. وعلى القول الثالث انه دوق فرمندوى ابن للملك لويس الرابع عشر من المداموازل ده لافاليه لطم اخاه ولي العهد مرة فحكم ابوه عليه بالسجن مدى الحياة ومهما يكن من سر المسألة فقد ثبت انه في ليلة من ليالي نوفمبر سنة ١٧٠٣ أنزل جسر الباستيل ومرت عليه جنازة ضئيلة سارت بالميت الخفي الى مدفن القديس بولس. وكان يسير خلف النعش رجلان من حفظة السجن حتى اذا بلغت الجنازة المدفن دفن الميت ثانية في التراب بعدما دفن اولاً وراء الحجاب. ولم يعلم احد خارج السجن بموته ما عدا الملك. وكأنه اراد ان يحجّو ذكر وجوده من صفحات الازهان فامر ان تحرق ثيابه وتذاب صحون الفضة التي كان يأكل منها وان تكشط جدران غرفته وسقفها وارضها ثم ترم ويمحى كل اثر باق منه. وكتب عنه في سجل الموق ان اسمه مرشالي وعمره ٤٥ سنة. وفي سجل المسجونين "مسجون من الداخلية"

وظن لويس ان القصة برمتها تمسي في زوايا النسيان قبلما تغل رفات ضحيته في قبرها مع ما ضمه من الاكفان على ان السر باح بنفسه واثار حب استقصاء الحقائق من مكانته. فما نسي الفلاحون السجن المبرقع ايام مرّ في مزارعهم يحرسه سان مارس ولا انقطع ذكره عن السنة اهل البلاط همساً في الاذان ان لم يكن نداءً عن السطوح. ولا عن السنة حرس الباستيل في مجالساتهم ومسامراتهم ومرت السنين على ذلك حتى زج بعض رجال الادب في الباستيل فسمعوا عن تلك القصة ما اسال قرائتهم واجرى مدامع اقلامهم فكتبوا ما ينيف عن خمسين كتاباً في هذا الموضوع. على ان تلك الكتب لم تهتك ستاراً ولا كشفت مخبأ بل كل ما كشفتُه انما هو ظلم الملك لويس الرابع عشر وقسوته. والمظنون ان السر المكشوف مدفون في سجلات الفاتيكان برومية اذ يرجح ان السجن اخبر الكاهن الذي كان يعرفه بحقيقة امره ومن المحتمل ان يكون الكاهن قد اخبر رؤساءه بذلك فاذا استطاع احد ان يطلع على تلك السجلات وجد فيها الخبر اليقين

ركفلر ومقدرة المال



لما هل القرن الماضي كانت اوربا واقفة ترقب بونايرت القائد العظيم الذي نبغ من مصاف الجنود فقاد الفيالق وساد الممالك بعلمهمته وصدق عزمته ومهارته في فنون القتال ودرايته في اخيار الرجال . وقد هل القرن الحاضر واميركا ترقب رجلاً نبغوا من صفوف العامة فبلغوا بعلمهمته وصدق عزمته ومهارتهم في ادارة الاعمال واستخدام الاكفاء من الرجال مقاماً لا ينحط عن مقام بونايرت ولا هو اقل منه خطراً ولكنه اسلم منه عاقبة واكل ضرراً . وفي مقدمة هؤلاء الرجال جون ركفلر صاحب الملايين الوفيرة والمبررات الكثيرة . وقد ذكرنا ترجمته منذ عهد قريب فلا نعود اليها ولكننا اطلعنا الآن على وصف بديع له في جرنال نيويورك وعلى ما يستطيع عمله بامواله تحت عنوان "شلالات من المال والقوة" فاقطفنا منه ما يأتي

جون ركفلر اعظم رجل على وجه البسيطة من حيث قوته وما يستطيعه . فليس في الناس رجل مثله ولا وجد قبله شبيه له . وقوته متنوعة فهو شجاع مثير صبور قادر على ترتيب الاعمال وتنظيمها زكين في الدرجة القصوى يعرف طباع الناس واخلاقهم . يملأ الزمن الذي هو فيه كأنه خلق له . بعيد النظر في العواقب ينظر الى المستقبل البعيد ويراه واضحاً جلياً ولو خفي على غيره . يصرف الامور ويعدها حتى توافقه فيما غيره يستعد ويتبها حتى يوافقها . معدته المالية على غاية المرونة فتكتفي بالارنب الصغيرة وتستطيع ان تبتلع الجاموس الكبير . عنده الآن أكثر مما يحتاج اليه هو والف الف نفس مثله ولا يزال يغترف الاموال اعترافاً كالحوت لا يرويه شيء بلهمه . تراه رابضاً في ربوع اميركا كالنمين الكبير واعضاؤه واصلة الى اوربا واسيا وقد ففرهه ليبتلع ما يمكن ابتلاعه منهما . تظنه قد شبع واتخم فنام ولم يعد يستطيع النهوض ولكنه في الحقيقة فاتح عينيه واذنيه فلا تدنو فريسة منه الا ابتلعها لو كان من ذوي المطامع والامال الكبيرة كما كان بونابرت للقي الناس منه الامرين لانه يستطيع كل شيء في هذا الزمن زمن الدينار يستطيع ان يستاجر مليون رجل ويجعلهم طوع امره ويحكم بهم وبامواله على خمسين مليوناً من النفوس لكن العناية حرمة من هذه المطامع ولجته كما تلجم مياه البحر حتى لا تئعدى ساحله ولم تعطه الا الرغبة في جمع المال وعمل بعض المبرات

ولو كان من ارباب العلم واهل الغيرة الشديدة على نوع الانسان لاستطاع ان يعمل العجائب بماله لكنه قانع بان يكتب على قبره كان فلان اغني الاغنياء لا ان يقال انه انفق غناه كله على نفع ابناء نوعه

كما امتاز الاسكندر بقوته الحربية امتاز ركفلر بقوته المالية . الاسكندر قهر الفرس وتسلط عليهم بحفنة من الجنود المكدونية وكذلك ركفلر تغلب على الاميركيين وتسلط على الملايين من اموالهم بالمال القليل الذي كان معه اولاً فاصبح سلطان المال واغني من على وجه البسيطة وكل ريال من امواله بمثابة رجل يعمل نهراً كاملاً فقوته قوة ملايين من الرجال ان الذين حفظت اسماؤهم من ملوك مصر الاولين هم الذين استطاعوا ان يستخدموا الرجال ويديروهم فجعلهم يبنون لهم الاهرام والهياكل . جمعوا بين القوة الحربية والدينية والجهل الذي كان متسلطاً على الناس واستخدموا هذه القوى الثلاث للتسلط على الالوف من بني الانسان وتسخيرهم في الاعمال . هذا كان شأن الملوك في الزمن الغابر . اما ملوك المال في هذا العصر فاموالهم تعمل لهم ما يشاءون وهي في خزائن البنوك لا تأكل ولا تشرب ولا تنام ولا تثعب

لكن كل ريال منها يعمل ما يعمل العامل في يومه . وهي ليست مثل جنود الملوك تعمل وقت الحرب وتنام او تنفرق وقت السلم بل تعمل دواماً نهاراً وليلاً صيفاً وشتاءً وتوالد وتكثر من غير زواج ومن غير مخاض . ولا هي مثل عمال المعامل تعصب وتنامر وتشكو من قلة الاجور وطول ساعات العمل . ولا موضوعة حيث يفسد السوس والصدأ وينقب السارقون ويسرقون على ان الناس عموماً لا يدركون حقيقة قوة ركفلر وربما لا يدركها هو ايضاً تماماً لانها فاقت تصوراتيه ومطامعه . فان له جميع منابع زيت البترول في الولايات المتحدة والبترول لا يفيد شيئاً الا اذا كان ملك ركفلر لان سكك الحديد لا تجسر على نقله من مكان الى آخر الا برضاه وموافقتيه . ويقال ان عنده الآن الف مليون ريال (٢٠٠ مليون جنيه) لكن ثروته اكثر من ذلك فان ثمن منابع البترول وحدها يبلغ خمسة آلاف مليون ريال على اقل تقدير وهي إما له او مالها اليه . وهو يستطيع ان يزيد ثمنها قدر ما يشاء بزيادة ثمن البترول وقد ضاعف ثمن الكازولين بكلمة واحدة حالما عرف ان طلبه سيزيد باستعمال مركبات الاوتوموبيل له فزاد ربحه منه اضعافاً مضاعفة

ومما لا ريب فيه انه لو شاء ان يبيع كل ما يمتلكه الآن بأسعاره الحالية ما وجد في الولايات المتحدة كلها بل في العالم بأسره ذهب كاف لدفع الثمن نقداً . فتضطر البنوك ان تعمل اوراقاً مالية غير التي فيها لدفع المال المطلوب له

وله كثير من سكك الحديد ملكاً وجميع سكك الحديد الاميركية تحت سلطته فهو سلطانها الذي يجانب ولا يعاند . وقد اخذ يدرب الآن احد ابتائيه على ادارة سكك الحديد حتى اذا مات خلفه من يستطيع احتكارها كما احتكر هو زيت البترول . وهو صاحب شركات الكهرباء والغاز التي تنير مدينة نيويورك وغيرها من مدن اميركا الكبيرة . وله اكثر الاسهم في سكك الحديد الممتدة في شوارع نيويورك ومدن كثيرة غيرها

ومن العبث ان يفكر احد في تقدير ممتلكاته كلها فيقال بالاخص ان المال ملك وهو ملك المال وتحت امره نحو مليون من العمال الذين لهم حق الانتخاب . ولو اراد ان يزيد اجورهم ضعفين او ثلاثة لاستطاع لانه يتقاضى الزيادة من الجمهور باضافتها الى ثمن ما يشترونه او يستعملونه . وهم طوع امره فيستطيع ان يتسلط بهم على كل الانتخابات من انتخاب رئيس الجمهورية الى انتخاب شيخ القرية فتصير حكومة البلاد في يده ولكن مطامعه لا تنجيه الى تلك الجهة فان التجارة والامارة لا تجنمان في شخص واحد وركفلر تاجر لا امير فلا يمكن ان يجذو جذو نبوليون ولا يهيمه التسلط على الممالك مثله

وهو لا يميل الى الفخفة والابهة الخارجية ولا يعد من المسرفين ولا يستخدم احداً من الخدم الذين لا عمل لهم مثلاً كان يفعل الاغنياء من اهل الجاه والترف فهو من الوجهة الاقتصادية اقل ضرراً من امير او من وجيه يقوم الغلمان في بابه من غير عمل يعملونه . وهو خير وصي يمكن تعيينه لادارة امواله . لا ينفق على نفسه من ثروته الطائلة سوى النزر القليل لضعف معدته ولا يتمتع من الملاهي بسوى لعبة " الجولف " ولا يراهن فيها على اكثر من ريال . وقد عمر بيوتاً كثيرة فاعتنى كثيرون بالاتصال به او بالانتفاع منه ولا يبعد ان يكون قد خرب بيوتاً اخرى من الذين تضاربت مصالحهم ومصالحه ولكن يقال بالاجمال انه هو وامثاله قوة عظيمة في الدنيا لتكثير الراحة وتقليل التعب

توحيد الدين العثماني

رغمًا عما ينتاب الدولة العثمانية من المتاعب في الزمن الحاضر نرى التمويل من الاوربيين لاهين عن حوادث مقدونية ودائبين وراء توحيد الدين العثماني الذي تتولى ادارته لجنة دولية منذ ٢٢ سنة . وهذا التوحيد ليس بحديث العهد اذ ان الدولة العثمانية حاولت منذ سنوات تغيير الهيئة التي عول عليها دائنوها لاستيفاء ديونهم . فالارادة السنية التي صدرت في شهر محرم سنة ١٢٩٩ قاضية بنوعية دفع فوائد القروض التي عقدتها الدولة حتى سنة ١٨٧٥ واقتطاعتها لم تكن مستوفاة الشروط من حيث التقسيط على الاخص . لهذا ارتأت الدولة ان تحوّل بعض البنود من تلك الارادة آملة اصابة بعض الفوائد المالية من وراء التحويل . وآخر ما عولت عليه هو ان تكمل الى الميسور روقيه قبل توليه وزارة المالية الافرنسية تحقيق امانيتها . وقبل شروعننا في الكلام عن كيفية توحيد الدين العثماني يجدر بنا ان نبين اصله

في ٢٠ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٨٨١ صدرت ارادة سنية دعاها المليون ارادة محرم وبها جمع شمل القروض التي عقدتها الدولة منذ سنة ١٨٥٨ الى سنة ١٨٧٥ اي الى اليوم الذي فيه توقفت الدولة العثمانية عن دفع اقساط الدين وفوائده . وهذه القروض مع فوائد المتأخرة وازافة ١٠ بالمائة اليها عوضاً عن الفوائد التي لم تدفع في اوقاتها بلغت ١١٦١٣٥ . ٦٢ ليرة عثمانية سنة ١٨٨١

ولما كانت اكثرية الدائنين من الاجانب تشكلت لجنة بالنيابة عن الدائنين غرضها استيفاء هذه الديون من بعض الايرادات كالمخ والتبغ والمشروبات الكحولية وموائد الاسماك

واعشار الحرير والدخان الخ . وهذه اللجنة لا تزال حتى اليوم صاحبة الحل والعقد في جباية تلك الايرادات وصرفها في استهلاك الدين . وقد نهضت بهذا الحمل نهضة كانت الداعية الى عقد الدولة قروضاً جديدة تحت شروط لا تحسب بحجة بثقة المالية العثمانية لان الفرق بين اسعار القروض القديمة وفوائدها وبين اسعار القروض الجديدة وفوائدها ظاهر لا يحتاج الى اعمال الفكرة

وقد اتخذت اللجنة طريقة حسبتها مصيبة في البداءة وهي تقسيم الديون الى اربعة ابواب لقماتها D. C. B. A. وهذه الابواب لا تختلف الا في نوعية الاستهلاك اذ ان الفائدة واحدة للكل على السواء وهي ١ في المائة والفرق الذي نراه في اسعار هذه الابواب تسببه سرعة الاستهلاك واما الباب الاول A فانه قد استهلك تماماً ولم يبق منه شيء . وكيفية الاستهلاك هي هذه : تشتري القراطيس في البورصة بسعر لا يتجاوز $\frac{2}{3}$ ٦٦ في المائة اذا كانت الفائدة ١ في المائة واما اذا زيدت هذه الفائدة الى $\frac{1}{4}$ ١ في المائة يكون المشتري بسعر لا يتجاوز ٧٥ في المائة . وهذه الطريقة لا تزال جارية حتى اليوم اي ان الفائدة لم تتعد ١ في المائة . وهذا ما دعا الى زيادة الاموال الاحياطية في آخر كل عام وعجل في الاستهلاك الى حد ان الدين العثماني قد استهلك منه حتى الآن ٢٤ مليوناً من الليرات العثمانية . وبما زاد في سرعة الاستهلاك تخصيص ١٥٩٥٠٠ ليرة عثمانية كل سنة لهذه الغاية وهذه الكمية حصلت من تحويل الدين الممتاز سنة ١٨٩٠ اذ ان فائدة هذا الدين اصبحت منذ ذاك الحين ٤ في المائة بدلاً من ٥

اقتراح المسيو روثيه

لما انتدبت الحكومة العثمانية المسيو روثيه كما قلنا سابقاً للبحث عن طريقة توحيد الدين رأى ان لا بد من اصدار قرض جديد قدره ٣٢ ١٧٥ ٠٠٠ من الليرات العثمانية بفائدة ٤ في المائة يتم استهلاكه في مدة ٤١ سنة ويكون مضموناً بالايرادات الحالية التي جعلت منذ اواخر سنة ١٨٨١ ضماناً للقروض القديمة . والايرادات المشار اليها تبلغ نحو ٢٢٩٠ ٠٠٠ ليرة عثمانية سنوياً . فاذا اسقطنا منها ٤٣٠ ٥٠٠ ليرة للدين الممتاز و ٢٤٠ ٠٠٠ ليرة للسكك الشرقية بقي ١٦١٩ ٥٠٠ ليرة وهذه الكمية تكفي لاقساط الدين الجديد وفوائده اذ ان المبلغ اللازم لذلك هو ١ ٥٢٨ ٠٠٠ ليرة . واما كيفية التحويل فهي هذه : يعطى من القراطيس الجديدة لحاملي القراطيس القديمة B ما يعادل ٦٦ في المئة ولحاملي القراطيس C ٦٢ في المئة ولحاملي القراطيس D ٣٧,٥٠ في المئة وهذا التحويل يكفل الفوائد الآتية :

لحاملي القراطيس B ٢,٦٤ في المئة ولحاملي القراطيس C $1\frac{1}{2}$ في المئة ولحاملي القراطيس D $1\frac{1}{2}$ في المئة

غير ان الميسور روفيه اصبح بعد عودته الى الوزارة المالية الفرنسية غير قادر على متابعة البحث في ما انتدبته اليه الحكومة العثمانية فاخذ البنك العثماني في المخاطرة مع الباب العالي بهذا الشأن وقدّم اقتراحين احدهما مطابق في كثير من الوجوه لاقتراح الميسور روفيه والثاني يختلف عنه بعض الاختلاف

اقتراح البنك العثماني

يرتئي البنك العثماني في الثاني من اقتراحيه اصدار قرض يبلغ ٤١ مليوناً من الليرات العثمانية ويضم الدين الممتاز الى الدين المقصود توحيداً . فهذا القرض الاخير يقتضي استهلاكه ٤٠٠٠٠ ليرة سنوياً زيادة عن القرض الاول ويتعين اذ ذاك للسكك الشرقية ٣٠٠٠٠٠ ليرة في السنة

اقتراح المستر سمث

عدا الاقتراحين السابقين نرى اقتراح المستر سمث وكيل الدائنين الانكليزيين ورئيس ادارة الدين العثماني حالياً . وهذا الاقتراح يختلف اختلافاً تاماً عن الاقتراحين اللذين ذكرناهما . فالمستر سمث لا يرتئي اصدار قرض جديد بل يذهب الى زيادة الفائدة السنوية من ١ الى $1\frac{1}{4}$ في المئة طبقاً لرغبة فريق كبير من حاملي السندات واكثرهم من الانكليز . ومن مدة سنوات كثيرة كان هؤلاء قد طلبوا هذه الزيادة ولم يجب طلبهم خوفاً من ان الزيادة لا يستطيع ادامتها حتى منتهي استهلاك الدين ثم يصعب العود الى الفائدة القديمة اي الى ١ في المائة . فاقترح المستر سمث فيه بعض الافضلية من حيث الفائدة المالية الممكن حصولها للخزينة العثمانية حالاً فضلاً عن انقضاء المصاريف التي لا بد منها عند كل تحويل جديد لكن فيه بعض الغبن على حاملي قراطيس السكك الحديد الشرقية وربما لقي معارضة منهم . وخلاصة اقتراحه ان يدفع للخزينة العثمانية ثلاثة ارباع الزائد عن المبلغ اللازم للفوائد والاقساط بعكس ما هو جارٍ الآن اذ ان كل الايرادات تبقى في قبضة ادارة الدين الى ان يتم استهلاك كل الديون التي شملتها ارادة محترم

يرى ممّا تقدم ان كل قرض من القرضين اللذين اشار بهما الميسور روفيه والبنك العثماني لا يتم استهلاكه قبل ٤١ سنة وفي آخر هذه المدة يتم ايضاً استهلاك الدين العثماني الحالي اذا ظلت الحال كما هي الآن وذلك لان القراطيس B تستهلك في مدة ٩ سنوات والقراطيس

C في مدة ٣٠ سنة والقراطيس D في مدة ٤٠ سنة على الأقل
ونبحث الآن عن الفرق بين الاقتراحات التي ذكرناها والطريقة الحالية
(١) اقتراح الميسوروقيه واقتراح البنك العثماني :

لا تأمل الدولة اصابة فائدة مالية عاجلة من وراء اقتراح الميسوروقيه لان الايرادات
تقدر بـ ٢٢٩٠.٠٠٠ ومن هذا المبلغ يفيض ٩٠.٠٠٠ ليرة تقريباً بعد دفع مخصصات الدين
التمتاز والسكك الشرقية وبما ان التوحيد يتطلب مصاريف غير قليلة لا يبق للخرينة العثمانية
سوى قسم طفيف لا يفي اتعاب الدولة ومشاكلها مدة سنوات طويلة فضلاً عن بقاء ايراداتها
مرهونة لمدة ٤١ سنة وخاضعة لسيطرة الادارة الدولية . وهكذا قل عن اقتراح البنك العثماني
(وهو الاقتراح المعول عليه اليوم) وان نجح للدولة عنه قبض ١١٠.٠٠٠ ليرة معجلاً بداعي
زيادة مبلغ القرض الجديد لاشتماله على الدين التميز الذي لم يشمله ' اقتراح الميسوروقيه

(٢) اقتراح المستر سمث : لم يصادف هذا التقرير قبولا عند الحكومة العثمانية لانها ترى
فيه بقاء الايرادات مدة طويلة تحت سيطرة ادارة الدين وان اصاب بعض الاموال من وراء
هذا الاقتراح الذي يحتم بتسليمها ثلاثة ارباع الزائد عن مخصصات الدين
فاذا تأملنا في حالة الحكومة العثمانية رأيناها الآن مرتبكة البال بشأن توحيد دينها .

فهي من جهة لا ترضى بزيادة الفائدة الحالية الى $1\frac{1}{2}$ في المئة كما عولت عليه اكثرية دائئها
وربما جرت هذه المسألة الى التحكيم . ومن جهة اخرى لا تجد سبيلاً الى قبض كمية طائلة من
وراء اقتراحي الميسوروقيه والبنك العثماني فضلاً عن بقاء ايراداتها الكافلة لديونها القديمة في
قبضة دائئها . فبعد رؤيتها انها قبضت من وراء تحويل دين الجمارك ١٩٠.٠٠٠ ليرة
ومن وراء تحويل دين مصائد الاسماك ١١٠.٠٠٠ ليرة رغماً عن كون هذين القرضين
لم يبلغا معاً سوى ٦١.٠٠٠ ليرة تقريباً عند تحويلهما مع ان الباقي من القراطيس D, C, B
هو مبلغ ٧٧١.٠٠٠ ليرة لا تجد بداً من متابعة المخبرات عليها تبلغ امنيتها قبض مبلغ اعظم
اما بزيادة مبلغ القرض الجديد واما باطالة مدة استهلاكه لان حالتها الحاضرة تستدعي بعض
المصاريف التي لا مهرب لها منها . وعلى كل لا نظنها الا راضية باقتراح البنك العثماني اذ ان
مماطلتها ربما جرت عليها بعض الخسارة بداعي زيادة الفائدة كما يشتميه فريق كبير من حاملي
قراطيسها استناداً على المادة الحادية عشرة من ارادة محرم

ثم باي سعر يصدر القرض الجديد . فاذا تصفحنا الجداول المنشورة عن قيم القراطيس في
بورصة باريز وجدنا ان القراطيس العثمانية التي فائدتها ٤ في المائة يساوي الواحد منها ٤٨٠

فرنكا اي بنسبة ٩٦ في المائة لان سعرها الاسمي هو ٥٠٠ فرنك . ومعلوم ان هذه القراطيس تتعلق رأساً بوزارة المالية العثمانية ويحسب حاملو القراطيس ان ضمانتها لا تعادل ضمانه القرض الجديد لان الكافل لهذا القرض هو الايرادات الحالية الممنوحة للدائنين القدماء منذ سنة ١٨٨١ وهذه الايرادات ستبقى تحت سيطرة اللجنة الدولية كما هي الآن . فلذلك لا نرانا في غلط اذا قلنا ان سعر القرض الجديد لا يقل عن ٩٦ في المائة

فمن هذه الملاحظة يصح الاستدلال على ان الدائنين القدماء سيجنون من وراء القرض الجديد ارباحاً لم يكونوا لينتظروها وهذه الارباح تتراوح بين ١٨ و ٢٤ في المائة ويسبق كدليل صادق على الكسب ارتفاع اسعار القراطيس العثمانية في هذه الآونة الاخيرة
بنك باره بالبرازيل يوسف ضاهر

ربّات التحرير و ربّات الخدور

دع ابناء المشرق يتجادلون في وجوب الحجاب وحبس النساء في الخدور ويوجبون ما لم يوجبهُ اسلافهم الاولون^(١) ولا شاع في بلاد الاًلّما مال نجم سعدنا الى الافول وهلمّ بنا الى ربوع اوربا واميركا حيث يشارك النساء الرجال في كل الاعمال لا في الحرث والزرع والحرف الحقيرة فقط كما يفعل نساء الفلاحين والفقراء عندنا بل في الاعمال الكبيرة ايضاً التي تقتضي علماً ودراية كالطب والتجارة والتحرير والمحاماة

اطلعنا الآن على مقالة في مجلّة كاسل الانكليزية وصف فيها كاتبها النساء محرّرات الجرائد في مدينة لندن ويظهر من وصفه ان اولئك الكاتبات يحررن جرائدهنّ او جرائد غيرهنّ اسماً وفعلاً فيبحثن عن المواضيع وموادها وينشئن المقالات فيها ويحررن ما ينشئهُ غيرهنّ كما يفعل كبار المنشئين والمحررين . من هؤلاء المحررات مسز بير وهي صاحبة الجريدة المسماة صندي تيس وقد كانت مساعدة في تحرير الجريدة المسماة بالايزرقر لما كانت تلك الجريدة لزوجها . ثم انشأت الصندي تيس واشتغلت بتحريرها فصيرتها من الجرائد ذات الشأن

(١) قال الامام الرحالة شرف الدين بن بطوطة في رحلته المشهورة انه دخل دمشق وسمع في جامع بني امية على جلة علماءها فاجازوه كلهم وفي جملتهم الشيخة الصالحة ام محمد عائشة بنت محمد بن مسلم الحرّاني والشيخة الصالحة رحلة الدنيا زينب بنت كمال الدين احمد المقدسي وكان ذلك سنة ست وعشرين وسبعماية للهجرة المرافقة سنة ١٢٢٦ للميلاد

ومنهنّ مس هلدافرد ركس وهي لغوية مشهورة تتكلم بكل اللغات الاوربية . تعرّف بها المستر ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية حينما كان عازماً على تحرير البال مال غازت فطلب منها ان تكون سكرتيراً له فقبلت ذلك وصارت تكتب في جريدته ايضاً وكان ينظر الى مقالاتها كما ينظر الى مقالات الرجال تماماً ويعطيها اجرة ما تكتبه كما يعطي الرجال الذين يكتبون مثلها . ثم لما ترك تلك الجريدة كانت قد صارت من المحررين فيها فتركها هي ايضاً وانضمت الى محرري الوستمنستر غازت . ثم عرض عليها تحرير الوستمنستر بدجت فقبلته وجرت في تحريرها على خطتها وهي خطة الاحرار ويقال انها من النابغات في انشاء المقالات السياسية ومنهنّ مسز بدفرد فنك صاحبة جريدة التمريض . اخذت في تحرير هذه الجريدة لكي تبين نفع الممرضات وتنقل اليهنّ الفوائد التي يمنجنّ اليها وتحث الامة على تعليمهنّ والاعتماد عليهنّ . ورأست فرع التمريض في معرض شيكاغو وكان لها شأن كبير في المؤتمر الذي تلاه . وانشأت مؤتمر التمريض في مدينة لندن . ولما نشبت الحرب بين تركيا واليونان جمعت ما يكفي من المال ومضت الى ساحة الوغى ومعها ثلاثون من الممرضات الانكليزيات لتمرريض الجرحى ومنهنّ مس جويت هيل وقد ربيت في قصر الملكة فكتوريا لان اباه كان خزانة له ودرست في مدرسة الملكة . وعرض منصب مساعدة في تحرير جريدة مير على احدى صديقاتها فوجدت نفسها غير قادرة عليه وشارت على الذين عرضوه عليها ان يعرضوه على مس هيل فعرضوه وقبلت به من غير تردد وكان ذلك منذ خمس عشرة سنة وهي الان المحررة الاولى لتلك الجريدة ولها في هذا المنصب سبع سنوات

ومنهنّ مس رنا شل محررة جريدة السيدة (لادي) والذي ينظر اليها وما على صدرها من الحلى وما في غرفتها من فاخر الاثاث يظنها من الغواني ذوات الغنج والدلال ولكنه اذا تكلم معها رأى علماً وذكاءً وهمّة عالية . وقد ابتدأت من الدرجة السفلى في تحرير الجرائد وارنقت رويداً رويداً الى ان صارت رئيسة التحرير

ومنهنّ مسز هر كورت وليصن وقد انشأت جريدة اسبوعية منذ سنة ونصف فابلغتها الدرجة العليا بين الجرائد الاسبوعية لانها كثيرة التردد على بلاط الملك وعلى قصور الامراء والعظماء فتقف على اخبار يتعذر على غيرها الوقوف عليها . وهي بارعة في التحرير لانها مارست هذه الصناعة عند رجل من كبار المحررين وكانت تكتب جريدة العالم (الورلد) وتكتب فصول الجمعية في الداهلي مايل ثم في الداهلي اكسبرس

وذكرت مجلة كاسل كثيرات غير هؤلاء المحررات اجتازنا عن ذكرهنّ بن ذكرنا

هذا وكثيرات من النساء الاوربيات والاميركيات يؤلفن الكتب المختلفة الانواع ولا سيما الروايات وقد جارين الرجال في هذا المضمار او فقههم فيه وهن يكتسبن من رواياتهن كما يكتسب الرجال او اكثر وبعضهن يكاتبن المجلات الكبيرة. وقد ذكرنا غير مرة انك اذا رايت في المجلة خمس عشرة مقالة فالغالب ان ثلاثاً منها باقلام النساء. واكثر كتابتهن في المواضيع الادبية والاجتماعية مثال ذلك الجزء الاول من مجلة القرن التاسع عشر الصادر في غرة هذا العام فيه خمس عشرة مقالة ثلاث منها باقلام النساء الاولى بقلم لادي غندولين رمسون وموضوعها هل الآداب احط الآن مما كانت عليه قبلاً

والثانية بقلم مس اني غلادستون وموضوعها نظرة اخرى الى روايات جنة اوستن. وجنة اوستن هذه كاتبة انكليزية شهيرة قال ماكولي الكاتب الثقة انها في مقام شكسبير وفضلها هولس على سكوت وبلور ودكنس وذكري وجورج اليوت وكلهم من نخبة كتّاب الانكليز بل هم اشهر مؤلفي الروايات

والثالثة بقلم مسز كليفورد وهي رواية تمثيلية صغيرة

وفي الجزء الصادر في فبراير ست عشرة مقالة اربع منها باقلام النساء الاولى بقلم لادي بنسبي عن بورت رويال وبسكال وقد ابدعت في وصف ذلك الدير وذكرت من اوصاف بسكال وشدة تدينه ما قلما تراه في ترجماته. والثانية بقلم السيدة مود بونسفرت عن مدينة وشنطون عاصمة جمهورية اميركا. والثالثة بقلم مسز فردرك هريصن زوجة فردرك هريصن الفيلسوف الشهير وموضوعها الخادمة ومولاتها استهلتها بقولها ان جماعة من السيدات كن مجتمعات في بيت وجعلن يذكرن ما يمكن ان يتخزن به لو عشن سبعين سنة اخرى في مدينة لندن مما يتمتع به الآن فقالت الواحدة اني اقول كنت ساكنة في بيت وحدي وكله لي وقالت الثانية وانا اقول انه كان لي مركبة تجرها خيولي. وقالت الثالثة وانا اقول اني كنت اكتب مكاتيبي بقلي. وقالت ربة البيت اني اقول انه كان عندي خدام يخدموني. ثم اخذت الكاتبة في تفصيل ذلك كله وسرعة انتشاره في تلك المدينة حتى تصير البيوت شققاً يسكنها الناس ويقدم لهم فيها ما يحتاجون اليه من طعام وشراب باقل ما يكون من النفقة. ثم ابدت النصائح الكثيرة للبنات لكي لا يحنقن الخدمة في البيوت بل يفضلنها على غيرها من الاعمال التي يستطعن عملها والنصائح لربات البيوت ليعاملن الخادومات كبناتهن فيخدمهن بامانة ونشاط وتصير الخدمة البيئية من الاعمال الشريفة التي يرغب فيها. والرابعة بقلم مسز بارنت عن كيفية انشاء توينبي هول وهي دار في افقر احياء لندن ينزل فيها اهل الفضل لكي يستطيعوا

ان يعاشروا السكان ويعلموهم ويساعدوهم وقد سميت كذلك نسبة الى المستر توينبي الذي اشتهر بعلمه وفضله ومبراته الكثيرة وكان له اليد الطولى في انشاء هذه الدار ثم توفي شاباً وعمره احدى وثلاثون سنة واقترحت مسز بارنت الكاتبة ان تسمى باسمه فاشأها زوجها القانون بارنت وسميت باسم توينبي . ووصفت في هذه المقالة كيفية اهتمام جلة القوم من الانكليز ولاسيما من تلامذة اكسفرد وكبردج باصلاح شأن الفقراء وقد طالعا كثيرا مما يكتبه نساء الافرنج في مواضيع مختلفة فأبناهن يطرقن في الغالب المواضيع الادبية التي من هذا القبيل ولا يكتفين بالاقوال والآراء بل يدرسن ويبحثن ويحققن ثم يستخلصن نتيجة بحثهن وينشرنها والغالب انهن يكتسبن باقلاهن كما يكتسب الرجال لانهن يتأهلن للكتابة مثلهم ويجهدن اجتهادهن

سدني كوبر المصور

اذا صح للناس ان يكرموا الذين فاقوا في اثنان الفنون المادية التي تقضى بها حاجات الجسد العرضية فما اخلقهم ان يبالغوا في اكرام الذين اتقوا الفنون الجميلة التي تقضى بها حاجات النفس الجوهرية كالشعر والموسيقى والتصوير

على ان الناس لم يقصروا في اكرام الشعراء والموسيقيين والمصورين في كل عصر وفطر فان كان اليونان قد اكرموا ارسطو وسقراط وافلاطون وغيرهم من كبار فلاسفتهم فهم قد اهووا هوميروس شاعرهم المشهور من قبلهم وفيدياس النحات الشهير . وان كان الرومان قد اقاموا التماثيل لفلاسفتهم فهم قد رفعوا اسم فرجيل شاعرهم فوق كل اسم . وذكر رفايل وانجلو ودانتي وروسيني احلى في مسمع كل ايطالي من ذكر غليلى . والاماني يطرب لذكر جيتي وبيتهوفن اكثر مما يطرب لذكر هجل الفيلسوف الكبير . وذكر هيغو عند الفرنسي اطيبي من ذكر لافوازيه وديماس . وكل انكليزي يرى في صور كوبر الحقيقية من المعاني ودواعي انبساط النفس وانسراح الصدر ما لا يراه في صور الفيلسوف هربرت سبنسر الخيالية

وكوبر الذي نحن في صدد الكلام عليه من اعظم مصوري الانكليز في القرن التاسع عشر واعظم ما اشتهر به صورته عن قطعان الغنم والبقر السائمة في مراعيها الرابضة في مراتعها فوصف بقلم المصور قناعة البقر ووداعة الغنم وصفاً يعجز الباغ الكتاب عن المحي به مثله لانه مثل به الطبيعة كما ترى في الصورة التالية

ولد صاحب الترجمة سنة ١٨٠٣ أيام كان الانكليز يحاصرون عكا بقيادة الاميرال السر سدني سمث وكان له عم من ضباط بارجنه فلما انتهى الحصار سألوه السر سدني سمث عما اذا كان عنده اخبار من عائلته في انكلترا فاجابه ليس عندي اخبار تذكر سوى انه ولد لشقيقى ابن آخر منذ غادرنا انكلترا فقال له السر سدني قل لهم اذا ان يسموه باسمي . ولكن لم يبلغهم ذلك حتى كانوا قد عمدوا الطفل وسموه توماس فاتخذ لنفسه اسم سدني فيما بعد فصار اسمه توماس سدني كوبر

ولد فقيراً وعاش كدوداً . وشغف بالتصوير وهو طفل صغير ولما بلغ التاسعة من عمره لم يكن في جيبه درهم في ذات يوم تأبط لوح حجر وسار الى المروج يتساقط منقبض النفس لقره وكان قد لقي رفيقاً له في اثناء الطريق فاخبره رفيقه ان اياه سيرسله مرتين في الاسبوع الى معلم يعلم الرسم والتصوير فزاد وجه كوبر اكتئاباً ونفسه انقباضاً على ذلك الخبر . فسار الى المروج المذكورة وجعل ينتقل فيها من مكان الى مكان حتى قاربت الشمس الزوال واخذت لتوارى في الحجاب وسالت بفيض شعاعها الذهبية الاودية والهضاب فاثرت ذلك المنظر تأثيراً عظيماً في نفسه وصوره بعد اربعين سنة فجاءت صورته بديعة المثال بعيدة الشهرة فسيهاها " انقشاع الغيوم عند المغيب " وكانت رائد اشتهاره واول معارك انتصاره

ولما بلغ الحادية عشرة من العمر كان بونبارت يتهدد اوربا بحروبه فرأى بلوخر في لندن قبل اشتراكه مع دوق ولنتون في معركة ووترلو الشهيرة ورأى الجنود تجمع استعداداً للذهاب الى محاربة بونبارت بعد هربه من جزيرة ألبا وكان اذ ذاك تلميذاً في المدرسة

قلنا انه كان فقيراً فلم يستطع الاتفاق على نفسه لتعلم التصوير ولكن صديقاً لاهله استخدمه لدهن المركبات وتلوينها فتعلم التلوين وتمرّن عليه مدة واهدى اليه بعض المصورين رزمة من اقلام الرسم والتلوين ولكن لم يكن معه مبراة ليبريها بها فرأى ذات يوم كاهناً يمشي على الطريق ويداه خاف ظهره فتقدم منه وسأله عما اذا كان معه سكين فاجابه بالايجاب وقال ماذا تريد بها فاخبره بمبراه فرق له وبرى اقلامه كلها وكان كوبر قد اراده بعض صوره فاعجب بها واطنّب في مدحها ثم سار في سبيله ولم يكده يغيب عن بصره حتى علم انه رئيس اساقفة كنتريري وكان في طليعة الذين جرّأوه على عمله فانه اشترى صورة من صوره بخمسة جنيهات وكان قد طلب بها خمسة شلينات

ولم يعدم نصراء آخرين غير رئيس الاساقفة فان طبيباً في الجيش رثى له وكان بارعاً في التصوير فعلمه بعض الشيء منه . وما زال يكده ويجد حتى استخدم في جمعية تمثيل لتصوير

المناظر وكانت تعطيه جنيهاً في الاسبوع . ولكنه عاد بعد ذلك الى دهن المركبات وتلوينها حتى اسعدهُ الحظ بدخول مدرسة التصوير فدرس فيها بعض المبادئ الى ان اضطره اعوازه ان يعود الى وطنه حيث اخذ في تعليم مبادئ الرسم والتصوير لبعض الاولاد فكان يقطع نحو ١٥٠ ميلاً في الاسبوع وهو يجول من مكان الى مكان لتعليم صناعته



منقولة عن صورة من صور كوبر الشهيرة

ولما بلغ الرابعة والعشرين اتفق هو وصديق له على السفر الى اوربا والاشتغال بنسج التصوير هناك فسافرا الى فرنسا ولم يكونا يعرفان الفرنسية ولكن كوبر كان يحسن اللعب على الفلوت فقال لصديقه اذا لم استطع كسب رزقي بالتصوير كسبته باللعب على الفلوت . ثم سافرا الى دنكرك فبروكسل عاصمة البلجيك وجعلا يعملان اولاً في كتابة آرمات الحوانيت ودهنها . ووجد كوبر تلاميذ من كبراء القوم فتعرف باحدمشاهير المصورين بواسطتهم ولم تمض على ذلك سنتان حتى تزوج ابنة رجل انكليزي ساكن في بروكسل ثم عاد الى انكلترا بامراته وكان في جيبه ثلاثة عشر جنيهاً لا غير فاقام في كنتربري ثم في لندن حيث اتفق هو ورجل آخر ان يرسم له رسوماً على ان يأخذ خمسة شلينات ثمن كل منها فنجاً بذلك من مخالب الموت جوعاً هو وزوجته

وذات يوم جال في خاطره ان يصور البقر والغنم التي في الحديقة المعروفة برجنت بارك وكان ذلك بدء عمله الحقيقي فجعل يذهب كل يوم الى المكان المذكور وفي جيبه برقالة وقليل من الكعك ثم يجلس يرسم ويصور البقر والغنم حتى الساعة الرابعة مساءً وكان يصورها في جميع حركاتها وسكناتها ولفاتها وجثامتها . وكان بين تلك الانعام بقرة اراد تصوير حركاتها وهي تقضم العشب وتمضغه ولكنها كانت كثيرة الحركة لا تستقر على حال فاتعبته جداً وقد قدر انه مشى نحو مئة ميل في اثرها حتى استطاع تصويرها

وقضى العمر وهو يعود الى تصوير قطعان الغنم والبقر وما يتصل بها من مناظر المزارع والحقول والرعاة والفلاحين حتى بلغ فيها حد الابداع وصار لصوره المقام الاول في معارض الصور وتهافت المصورون على نقلها أكثر مما تهافتوا على نقل غيرها . وقد انتقدوا عليه في اول الامر هذا التكرار بل هذا الاختصاص لكنهم عادوا فاعترفوا له بالفضل وبانه اجاد في اتقان شيء يتعذر على المرء اتقانه ان لم ينقطع له . وقد خالف مقتضى طبعه مراراً لكنه ما لبث ان عاد اليه حالاً وقد قال في صدد ذلك ما ترجمته

” لقد حاولت مراراً ان اعرف فوق المناظر العادية مناظر الحقول والقطعان لكنني كنت كمن يخالف طبعه فلا يقرب لي قرار حتى اعود اليها“

ولم يكن قوي البنية ومع ذلك عاش تسعاً وتسعين سنة . ولما بلغ الخمسين من عمره اصابته تخمة شديدة وكان طبيبه يظن انه لا يعيش الى الستين فهاجر سكن المدن وفر الى الجبال للاستشفاء من دائه ولكن صحته لم تحسن في بادىء الامر حتى ان طبيبه قال له ” كل ما استطيع عمله لك هو ان اخفف عنك الآمك لا ان اشفيك لانني لا استطيع ان اخلق لك معدة جديدة“ فاجابه كوبر ” اذاً انا اشفي نفسي“ وهكذا فعل . فانه انقطع عن مآدب لندن وولائمها وهوائها المتكاثف بالدخان الى عيشة الجبال باكلها البسيط وهوائها النقي . وهاك ما كتب في وصف معيشته حينئذ قال :-

” بذلت جهدي في استعادة صحتي فكنت انهض باكراً وانصب لوحة التصوير قبل الفطور ثم اتناول الطعام الساعة الثامنة وكنت غالباً ابدأ العمل قبل الطعام . ولم اصور داخل المنزل بعد الساعة الثالثة . وكنت امشي خمسة اميال او ستة كل يوم قبل العشاء ولكن ذلك لم يشفني من التخمة والاضطراب العام الذي لم ي . ولقد عشت عيشة حرة غير مقيدة بقيود الهيئة الاجتماعية وروابطها حتى بلغت الثلاثين من العمر فلم اشرب كاساً من الخمر لاني لم اعاشر الذين يشربونها ولا كانت دنياي تمكنني من شربها . وسأعود الآن الى

عيشة البساطة فترك شرب الشاي واكتفى بالطعام الساذج في الصباح من مطبوخ الدقيق والملح بلا لبن . وأعني بمضغ طعامي جيداً فلا أحمل اسناني ما يجب ان تحمله السكين ولا أحمل معدتي ما تستطيعه اضراسي . ولا آكل أكثر مما اظنه كافياً لي لاني لا اريد ان انبش قبري باسناني وقد عزمت ان اسير حياتي في المستقبل على الخطة التي اتبعتها في صباي وهذا استطيعه في القرى أكثر مما استطيعه في المدن

فكانت نتيجة السير على هذه الخطة انه عاش تسعاً وتسعين سنة . ولما بلغ السنة الثامنة والثمانين كان يستطيع القراءة بلا نظارات ويحسن التصوير بالالوان أكثر مما كان يحسنه وهو ابن ستين سنة وهذا ما قاله وهو يناهز التسعين : —

”أؤكد ان الرياضة اليومية وانتظام المعيشة وخصوصاً انتظام ساعات الطعام خير مساعد للانسان على مداواة عسر الهضم . فقد كنت امشي خمسة اميال اوسمة كل يوم اما الآن فامشي ثلاثة اواربعة ولكن بانتظام وفي سرعة واحدة . واصور كل يوم من الساعة السابعة صباحاً في فصل الصيف والساعة السابعة ونصف في فصل الشتاء حتى الساعة الثامنة وهي وقت تناول الطعام . وبعد الطعام اعود الى التصوير حتى الغداء الساعة الثانية عشرة فأكل جيداً واشرب قليلاً ثم اصور حتى الساعة الثالثة وحينئذ اخرج للنزهة واعد قيلول الساعة السادسة فاغتسل ثم اجلس للعشاء الساعة السادسة وكنت اشرب كأساً من الخمر مع العشاء ولكنني هجرتها وهجرت سائر انواع الخمر بعد مرضي الاخير . ثم اقرأ الجرائد . وفي الساعة التاسعة ادخن سيجاراً ثم انام الساعة العاشرة

وعاش كذلك الى ان توفي في السابع من شهر فبراير سنة ١٩٠٢ وعمره تسع وتسعون سنة وكانت شهرته في تصوير المناظر الطبيعية قد طبقت البلدان وجمع من ذلك ثروة طائلة فأنشأ مدرسة للتصوير في بلده ووقف عليها ما يقوم بنفقاتها

هذا ومن طالع فصل المصورين العظام في كتاب سر النجاح يجد ان كثيرين منهم نشأوا في الفقر وقاسوا شظف العيش وتحملوا اشد المشاق قبلما عرف معاصروهم قيمة اعمالهم وقدرهم قدرهم . ومنهم من مات ولم يُقدّر قدره الا بعد موته وكان يبيت على الطوى وقرئ الايام وهو لا يكاد يجد كفافه من الطعام . فلم يكن كوبر من الشواذ التي لا يبني عليها حكم بل كان شأنه شأن كثيرين غيره من كبار المصورين . فعسى ان يكون ذلك مشدداً لعزائم الذين تعاطوا هذه الصناعة من ابناء المشرق ولم يروا من مواطنيهم الاقبال الذي ينتظرونه

عمران العراق

العائلة

عقد الاستاذ سايس فصلاً مسهباً للكلام على العائلة عند البابليين القدماء فاقتطفنا منه
وتماً كتبه غيره في هذا الموضوع السطور التالية

اول شيء ينظر فيه عند البحث عن العائلة لمن من الزوجين كانت السيادة في البيت .
فان الناس اختلفوا في ذلك والغالب ان السيادة كانت للزوجة اولاً ثم صارت للزوج الا ان
انتقالها من الزوجة الى الزوج لم يقع في وقت واحد ولا في درجة واحدة من درجات ارتقاء
الامم . والامم التي عمّرت بابل كانت من اصلين مختلفين احدهما يجعل السيادة للزوج والاخر
يجعل السيادة للزوجة فالشعوب السامرية كانت من الاصل الثاني اي الذي يجعل السيادة
للزوجة والشعوب السامية من الاصل الاول الذي يجعل السيادة للزوج كما يظهر من الاناشيد
القديمة المحفوظة في لغتيهما

وبقي للمرأة شأن كبير عند البابليين فكان نساؤهم يشاركن الرجال في اعمالهم التجارية يبعن
ويشتريين ويقترضن ويداعين في مجالس القضاء ويشهدن على الخصوم ويهبن املاكهن .
وقد وجد عقد من عهد الملك نبونيدس الذي كان قبل المسيح بخمس مئة وخمس وخمسين
سنة وفيه ان رجلاً كتب كل ما يمتلكه لابنته وتعهّدت الابنة ان تقوم بكل ما يحتاج اليه
من مأكل ومشرب وماوى . وصك من عهد قورش يقال فيه ان امرأة اسمها نبطه (اي نحلة)
استأجرت عبداً مدة خمس سنوات على ان يتعلم صناعة الحياكة ويحيك لها على نولها وهي تعطيها
اجرة معلومة من الحبوب كل يوم . ويستدل من ذلك انه كان عندها معمل للنسيج وكانت تستأجر
العبيد ليعملوا فيه . ويقال في نسبتها انها ابنة رجل سوري تبناه سوري آخر واستوطن بابل
ولما مات المتبني ادّعت زوجته انها كانت تتجر مع زوجها بعد زواجهما واشترى بيتاً دفعاً ثمنه
من صداقها وبلغ الثمن ١١٠ امناً و ٥٠ شاقلاً او نحو ٦٢٥٠ غرشاً ولكن قام اخو زوجها
وادّعى انه من ممتلكات اخيه ورفعت الدعوى الى ستة من القضاة في السنة التاسعة من ملك
نبونيدس فحكموا لها . وفي عقد من عهد ابراهيم الخليل ان رجلاً وهب زوجته جارية لتكون
ملكاً لها هي واولادها سواء بقيت الزوجة في عصمته او طلقت منه او مات عنها . وفي عقد من
اول عهد نبونيدس ان رجلاً مصرياً استوطن بابل فاعطى الرعيّة البابليّة ومات عن ابن وابنة
ورثاه معاً على السواء . ويقال في كتابة اخرى ان رجلاً استدان مالاً من كبيدس بن قورش

في السنة الرابعة لايه ورهن عنده بيته ثم توفي فرفع كيبس الدعوى على ورثته فأوفت زوجته الدين واستفكت الرهن . ووجدت صكوك يقال فيها ان الرجال ونساءهم كانوا يستدينون الاموال معاً بالتضامن والتكافل وان النساء كنّ يعين العبيد او يشترينها ويتاجرن ويداعين ونحو ذلك مما يدل على ان المرأة كانت مساوية للرجل تماماً في كل الحقوق والمعاملات سواء كانت متزوجة او ايتماً

وكان النساء مثل الرجال في الحقوق الدينية كما في الحقوق المدنية فكان منهن الكاهنات والنبيات والمترهبات في خدمة الالهة وكان الملوك يستشيرونهن كما يستشيرون الكهان . ومن هؤلاء المترهبات ابنة الملك امي صادق وهو الرابع بعد همورابي

وكانت شرائع بابل تطلق على كل من يستوطنها من الامم المجاورة وقد كشفت عقود وصكوك كثيرة من هذا القبيل مثال ذلك ان امرأة امورية رفعت دعوى على رجل وضع يده على حقل كان لابيها فحكم لها به ثم قام رجلان واختهما وادعوا على هذه المرأة واخيها بيت وحقل وعبيد فرفض القضاة دعواهم . ووجد في الكتابات التي كشفت في تل الامرنه بصر رسالة بابلية من امرأة كنعانية تحاطب بها ملك مصر في بعض الشؤون السياسية

والظاهر ان شرائع بابل كانت مرعية في سوربة على عهد ابراهيم الخليل كما يظهر من اقتناء سارة لهاجر امتها ومن توريث بني اسرائيل بناتهم كما يرث ابناؤهم عند اول دخولهم بلاد كنعان

وكانت الزوجة تأتي بالصدّاق من بيت ابيها ويبقى صداقها ملكاً لها توصي به لمن تشاء بعد موتها واذا طلقت من زوجها عادت بصداقها الى بيت ابيها . وكثيراً ما كان الزوج يلزم بنفقتها بعد طلاقها اذا كان ذلك مشروطاً في عقد الزواج مثال ذلك عقد تاريخه السنة الثالثة عشرة لنبوخذنصر فيه انه اذا تزوج الرجل امرأة اخرى فذلك بمثابة تطليقه زوجته الاولى فيلزم بان يرد اليها صداقها ويعطيها ايضاً مناً من الفضة (اي تسع مئة غرش)

وكانت مفردات الصداق تذكر في عقد الزواج فالنقود يذكر وزنها والعبيد والجواري والمواشي والعقارات تذكر اعيانها وقيمتها فيقال مثلاً عبد ثمنه كذا شاقلاً وبيت ثمنه كذا مناً . وقد لا يدفع الصداق كله فيتعهد الاب بدفعه بسند او برهن

وهذه العادة اي دفع صداق الابنة من ابيها لا من زوجها بابلية محضة مخالفة لعادة الاسرائيليين وغيرهم من الساميين فان الزوج منهم يدفع صداق زوجته واذا توفي ابو الابنة قبل زواجها تقوم امها بصداقها ولو كانت مطلقة والأقام به اخوتها

مثال ذلك عقد تاريخه السنة السادسة عشرة للملك نبونيدس يقال فيه ان اخوين زوجاً اختيهما من رجل واعطياها صداقاً ارضاً موروثة من امها وعبدًا وثياباً واثاثاً وكان الزوج يهتم بصداق زوجته وله حق الانتفاع منه ما دامت الزوجة في عصمته وكثيراً ما كان يستعين بصداقها في عمله او تجارتها فقد وجدت صكوك يقال فيها ان الزوج والزوجة تشاركاً في تجارة رأس مالها صداق الزوجة . ولكن الغالب ان الزوجة كانت تقوم بنفسها على استغلال صداقها او الاتجار به

واذا توفي رجل واقتربت زوجته برجل آخر اخذت صداقها معها . ويرث اولادها من زوجها الاول ثلثي صداقها عند موتها . وكذلك اذا تزوج رجل زوجة ثانية فلاولاده من زوجته الاولى ثلثا ميراثه ولولاده من زوجته الثانية الثلث فقط . هذه هي الفريضة الشرعية ويجوز تغييرها بوصية يوصيها الرجل ويشهد على صحتها شهوداً عدولاً ولا يجوز للمرأة ان تهب صداقها او تبعه في حياة والديها الا برضاها فقد وجد صك بيع من عهد الملك نرجلشاسر وفيه ان امرأة باعت عبداً كان في صداقها ولم يصح البيع حتى امضى ابوها وامها على صحتها

والصداق لا يقطع الميراث فكانت الابنة ترث نصيبها من والديها غير صداقها وتصرف باملاكها وكل ما تكتسبه تصرف المالك بملكه ولا تسأل عن دين يستدينه زوجها او ذوهه ومجيء المرأة بالصداق من بيت ابائها جعل لها المنزلة المساوية لمنزلة الرجل وحفظ استقلالها ورفع مقامها في عيني زوجها وابقى لها حق التصرف المطلق بنفسها وممتلكاتها وجعلها شريكة لزوجها يتعاونان على اخلاف النسل وتربية الاولاد وقضاء مهام الحياة . ولو كان الصداق من زوجها لعد ثمناً لها او قيمة تسليماً ننسها له كما يقول الفقهاء عندنا فانحطت منزلتها كما انحطت في كل البلدان التي يكون فيها الصداق من الزوج

وقبل ذلك كان الزوج يعطي الصداق للزوجة والظاهر ان هذه العادة قديمة جداً واصحاب سامي ايضاً وبقي منها حق الزوج في تطليق الزوجة وتشديد العقاب عليها اذا تركته وتخفيف العقاب عليه اذا تركها . وبقيت هذه الشريعة من ايام ابراهيم الخليل الى امام نبوخذ نصر فقد جاء في عقد زواج كتب في ايامه بين رجل وامرأة مغنية انه اذا طلقها فعليه ان يعطيها ستة امناء (٥٤٠٠ غرش) واما هي فاذا تركته وصارت لآخر فعقابها القتل . والمرجح ان هذه المرأة لم تكن من مقام زوجها فهددت بالعقاب الشديد ردعاً لها عن البغاء ولم يكن معها صداق فكانت كاحدى السراري

وكان التسري شائعاً عندهم والسراري زوجات يشترين الازواج الاغنياء ويستولدونهن ويعقدون عليهن عقداً شرعياً واذا طلقوهن وجب عليهم ان يعطوهن ما يصير الاتفاق عليه في عقد الزواج مثال ذلك عقد كتبه رجل تزوج ابنة فاعطى امها مناً ونصفاً من الفضة (اي نحو ١٣٥٠ غرشاً) وعبداً ثمنه نصف مناً (٤٥٠ غرشاً) وتعهد انه اذا تزوج بأخرى يطلق ابنتها ويعطيها مناً من الفضة (٩٠٠ غرش) ويردها الى بيت امها . فكانه اشتراها بما له ثم يضطر ان يطلقها اذا تزوج بأخرى لان الجمع بين زوجتين معاً لم يكن مباحاً . وكان يباح للاغنياء في الزمن الغابر ان يجمعوا بين زوجتين معاً فقد جاء في كتابة قديمة من عهد همورابي ان رجلاً تزوج امرأة ثم تزوج ابنة تبناها ابوها واشترط في عقد زواجها ان تخدم زوجته الاولى فتتهي طعامها وتحمل كرسيها الى الهيكل لتجلس عليه حيناً تذهب الى العبادة . ويستدل من ذلك ان الزوجة الثانية كانت في مقام جارية مشترة لانها لم تأت بصدق ولانها قبلت ان تخدم الزوجة الاولى ولذلك يمكن ان يقال ان الاضرار لم يكن مشروعاً عند البابليين لا قديماً ولا حديثاً واما الطلاق فكان مشروعاً وكان يجوز للمطلقة ان تتزوج كما يجوز للارملة ولكن اولادها من زوجها الاول لا يرثون من زوجها الثاني . فقد جاء في كتابة تاريخها السنة التاسعة من ملك نبونيدس ان رجلاً اسمه بعل قصير تبناه عمه وتزوج امرأته لها ولد ولم تلد له اولاداً فطلب من عمه ان يسمح له يجعل ابن زوجته وريثاً له فابى عمه ذلك وقرّ القرار اخيراً على انه اذا لم يولد لبعل قصير اولاد وجب عليه ان يتبنى اخاه حتى ينتقل ميراث عمه اليه ويبقى الارث في العائلة ولا ينتقل الى غيرها

ولم يكن الزواج عندهم شرعياً الا اذا كتب بعقد شرعي وقّع عليه القاضي والشهود . وكان للزواج صفة دينية ايضاً فتجري فيه بعض الرسوم ويقول الزوج للزوجة لقد صرت زوجتي وصرت زوجك ليمتلي حضنك ذهباً وفضة ولتثري كما تثري اشجار البساتين . ثم تشد الاحذية على اقدام الزوجين ويعطيان كيساً فيه ذهب وفضة . واقتصرت الخدمة الدينية في عهد نبوخذ نصر على وضع يد العروس في يد العريس

وقد ذكر هيرودوتس المؤرخ كلاماً مفاده ان البنات البابليات الجميلات كن يقمن في هيكل الزهرة يتجرن بعرضهن لكي يدفعن صداق الشناعات لكن الآثار البابلية التي كشفت حتى الآن لا تؤيد هذا الخبر مطلقاً نعم كان في البلاد مومسات تعترف بهن الشريعة وتحميمهن لكنهن كن فئة معروفة لا اتصال بينها وبين بقية النساء وكان للعفة والصيانة شأن كبير عند البابليين حتى انهم كانوا يعاقبون الزانية بالقتل . والظاهر ان ما ذكره هيرودوتس كذب اختلقه

اليونان لتحقير البابليين

وكان الاولاد يرثون والديهم على السواء ذكورا واناثا الا اذا اوصى والدوم بغير ذلك والظاهر ان الوصية من مخترعات البابليين . وكان لا بد من عقود شرعية لاثبات الملكية مهما كانت فكل معاملات البابليين كانت بعقود مكتوبة يكتبها الكاتب ويوقعها القاضي حتى انتقال الاملاك من المورث الى المورث صار بعقد شرعي ومن ثم نشأت الوصية اي انها كانت اولاً لتمليك الورث حسب الفريضة الشرعية ثم صارت لتمليك العين سواء كانت ارثاً حسب الفريضة الشرعية او هبة حسب اختيار الموصي

من ذلك ان رجلاً اوصى بكل امواله لابنته وكتب في رأس الوصية انه حرم ابنه لانه عقه . وكان مساحاً وله ثلثا مكتب للمساحة ولاخيه الثلث فاوصى لها ايضاً بما يخصه منه ومما عثر عليها من آثار اشور وصية الملك سنخاريب فانه اوصى لابنته اسرحدون بنحواتم من الذهب ومقادير كبيرة من العاج وكؤوس من الذهب وصحاف وقلائد وثلاثة حجارة كريمة زنتها منا ونصف وشاقلان ونصف

وقتل سنخاريب في هذه الوصية لأن ابنيه الآخرين تربصا الى ان مضى اسرحدون مع الجند الى ارمينية فقاما على ابيهما وقتلاه واغتصبا الملك . ووصية سنخاريب غير مصدق عليها من المحكمة كأن ملوك اشور كانوا فوق الشريعة اما في بابل فان معاملات الملوك كان يصدق عليها مثل معاملات الرعايا . وقد كشف عقد زواج ابنة الملك نرجل شرزر باحد قواد جيشه وهو مثل سائر عقود الزواج وفيه شهادات الشهود

وكان التبنّي قديم العهد عندهم واساسه ان ملوكهم لا يستحقون التسلط على المسكونة الا بتبني الاله مردخ لهم . وكانت حقوق التملك مقررة عندهم كما في كل البلدان التجارية فاذا كان لانسان ملك ولم يكن له وارث رأى من حقه ان يتبنى من يرثه حتى لا يضيع ملكه . وكان النساء يتبنين كالرجال لانهن يمتلكن ويرثن ويورثن مثلهم

ولم يقتصر تبنيهم على الاحرار بل كانوا يتبنون العبيد ايضاً ومتى تبنوا العبد عتق ولم يعد استعباده ممكناً لانه يصير حراً الا اذا نقض المتبني عهده واعاده عبداً ولذلك كان يقال في عقود بيع العبيد انهم لم يتبنوا . وقد كشفت وقائع دعوى اقيمت على عبد اسمه براشيل ادعى انه تبني وعتق فبيعه فاسد وحكم في هذه الدعوى على العبد امام المحكمة الابتدائية فاستأنف الى محكمة الشيوخ واستمرت المحاكمة زماناً طويلاً في عهد نبوخذ نصر ونبونيدس وذكرت المستندات التي تدل على ان الرجل عبد رقيق وقد بيع ورهن مراراً وكانت عقود البيع

وعقود الرهن يذكر فيها أنه لم يعتق ولم يتبن واعتترف العبد أخيراً بأنه لم يعتق قط فسلم لسياده
 أما إبطال التبني فمثاله عقد قيل فيه ما ترجمته "ان اقصى ابلا بن نورسن امضى عقداً
 تبني بموجبه عبده رماني بل المسمى عادة رموت مقابل تقديمه الطعام والكساء لسيده لكنه
 لم يقم بهذا العقد ولم يقدم لسيده طعاماً ولا زيتاً ولا ثياباً واما اساجل رمت بنت زيريا
 بن نبا زوجة ندين مردخ بن اقصى ابلا بن نورسن فأوت حماتها وقدمت له الطعام والزيت
 والثياب فلذلك الغي اقصى ابلا بن نورسن عقد التبني وامر رماني بل بعقد شرعي ان يخدم
 اساجل رمت وابنتها نبثا ويطيعهما . ومن يغير هذا العقد او ينقضه ليكون الاله مردخ
 والالهة زرفانت خصميه" وبلي ذلك اسما اربعة شهود والكتاب وحاشية يقال فيها ان العقد
 كتب امام بسا بنت اقصى ابلا

ومن مزايا التبني عند البابليين منح الرعية البابلية للاجانب فاذا نالها احدهم صار بابلياً
 ولو كان قبل ذلك عبداً رقيقاً

وخلاصة ما تقدم عن نظام العائلة في بابل ان الإضرار كان نادراً جداً وأنه كان للنساء
 الحق المطلق في امتلاك الاملاك وبيعها وفي كل المعاملات المدنية . وانهن كن يأتين بالصدق
 من والديهن او اقاربهن فيصرن به مستقلات عن ازواجهن . وارت الصبيان والبنت كانوا
 يرثون على حدّ سوى ويحق للمورث ان يوصي بمقتنياته لمن يشاء حتى صار التورث نوعاً من
 الوصية لدفع النزاع . وكان التبني شائعاً عندهم

وقد تقرر عندهم الاستقلال الشخصي وكانت حقوق الفرد مرعية تمام الرعاية بحميته
 القانون ويطالبه كشخص مستقل . وقد بقي عندهم شيء من آثار حقوق الجماعة فاذا كتب
 كتاب فتاة سلمها والداها او اخوتها او اقاربها الادنون الى زوجها واذا بيع ملك قديم شهد
 اقرباء البائع على صحة البيع وهذا وذاك من آثار الايام التي كانت فيها للجماعات حقوق مشتركة
 قبلما تقرر حقوق الفرد ويتقرر استقلاله

وكان الميراث يقسم على الورثة من غير وصية هكذا : الميراث كله للزوج او للزوجة وبعده
 او بعدها للاولاد على السواء حظ الذكر مثل حظ الانثى وحظ المتبني مثل حظ الولد الحقيقي
 ويزاد حظ المبكر مقابل اعتنائه بالتركة . ولما رأوا ان الورثة يخنقون احياناً الشاؤوا مجلساً حسيباً
 يستلم الميراث الى ان تفصل بينهم محاكم القضاء ثم اعتمدوا على الوصية دفعا لكل نزاع وقما
 كانوا يحيدون عن فرضتهم الشرعية في وصيتهم

هذا ركن آخر من اركان العمران البابلي وسيأتي الكلام على بقية الاركان التي ساد بها البابليون

حمى الدنج (ابو الركب)^(١)

بحث في باثولوجية المرض وطرق انتشاره

لم يعرف شيء أكيد عن باثولوجية هذا المرض وعن طرق انتشاره رغمًا عما كتب من المجلدات الضخمة والتقارير المفيدة عنه منذ انتشاره في جزيرة جاوى والقاهرة والاسكندرية سنة ١٧٧٩ الى ان دخل البلدان التي شرقي البحر المتوسط سنة ١٨٨٩

وقد شرّح بعض المدققين كثيرًا من جثث المتوفين بهذا المرض فلم يروا تغيرات ظاهرة فيها . وكان يظن سابقًا انه مرض ناشئ عن العفونة والرطوبة ولكن بعد تفسيه سنة ١٨٩٩ عمّ الاعتقاد جمهور الباحثين فيه بأنه مرض معد . وقد ذكر الاستاذ الدكتور غلنسترن (في باثولوجية نوتناجل) قولاً جمع فيه ملخص ما كتبت عن هذا الداء وهو " انه ينتقل بالعدوى ولكنه لا ينتشر الا حيث توجد المستنقعات او المتصعدات الميازمية " وما ثبت انه مرض معد سرعة انتشاره من منزل الى منزل في مدينة دخلها وسرعة انتقاله من شخص الى آخر من افراد عائلة واحدة

ومما يجعل ذكره ان عدم انتشار المرض في الاماكن الخالية من المستنقعات ادى بكثيرين من الباحثين الى الاعتقاد انه ليس من الامراض المعدية بل انه مرض ميازمي ينشأ عن متصعدات الاراضي الواطئة الرطبة . والادلة كثيرة على عدم انتشاره في غير الاماكن الواطئة التي تطيب له الاقامة فيها . فقد ظهر من تفسيه في كوبا وجاميكا والهند الشرقية وبنين ومارتينيك ومدغسكار انه لم ينتشر في الاماكن العالية الجافة التي في الداخلية مع كثرة المواصلات والاختلاط . وكثيرًا ما يحدث ان بعض اهالي الداخلية يقصدون السواحل ثم يعودون منها وقد ادركهم المرض واشتدت عليهم وطأة الحمى ولا يصاب به احد من اهليهم المقيمين معهم في منزل واحد . فسهولة الاصابة به في احوال مخصوصة وصعوبتها في احوال اخرى بقيا سرًا غامضًا الى الآن

على ان تفشي هذا المرض في بيروت في صيف ١٩٠١ مهّد السبيل الى درسه درسًا دقيقًا ومعرفة الاحوال التي تصيره معديًا في بعض الاحيان وغير معدٍ في الاخرى . فان لبيروت مزايا طبيعية ظاهرة تجعل درس هذا المرض سهلاً وتمكّن الباحث من عمل تجارب لا يمكنه

(١) وهي مقالة للدكتور جراهم استاذ الباثولوجيا في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت قدمت الى المؤتمر الطبي الذي عقد في القاهرة في شهر ديسمبر الماضي

عملها في مكان آخر . فهي واقعة على ساحل البحر في سهل نتاخمة قم لبنان التي تختلف بين ٢٠٠٠ و ٩٠٠٠ قدم في الارتفاع . ففي ساعة او ساعتين من الزمان يستطيع الباحث درس احوال هذا المرض في الاماكن التي على مساواة سطح البحر والتي تعلو عدة آلاف من الاقدام عنه . وفي اوائل يوليو سنة ١٩٠١ ظهر المرض وكان بطيء السير ولكنه اخذ يشتد بزيادة الاصابات وانتشر في جميع احياء بيروت والقرى المجاورة لها حتى لم يكد منزل يخلو منه واذا دخل منزلاً لم يكد احد ينجو من عدواه . وكانت الحمى تدوم من ثلاثة ايام الى ثمانية وفي اثناء انخفاضها يظهر نفاط جلدي يختلف في كثرته وقلته . وكان كثيرون من الذين يصابون بهذا المرض — وهم ٣٠ في المئة من السكان حسب اخنباري — يصابون به ثانية اصابة اخف من الاولى عادة وذلك بعد مدة تتراوح بين ٤ ايام و ١٥ يوماً من الاصابة الاولى ويشكون في اثناء ذلك ضعفاً عمومياً . وقد عرفت قليلين اصابوا بالمرض ثلاث دفعات شديدة في اوقات مختلفة وكان يعقب كل دفعة نفاط جلدي وسقوط قشور من الجلد . وبلغت الحوادث التي وقعت تحت مشاهدتي مدة تفشي المرض ٥٠٠ حادثة فلم أر فيها ما يخالف الحوادث التي وصفها منسون وغيره من الاطباء

هذا وقد شاهدت بعض حوادث المرض الذي تفشى في سواحل سورية سنة ١٨٨٩ فتبين لي منها ومن تقارير غيري من الباحثين في اماكن اخرى ان البعوض هو الذي يجعل المرض شديد العدوى في مكان وعديها في مكان آخر . فان بين بيروت ولبنان من الجهة الجنوبية سهلاً واسعاً من الرمال والى شماله بساتين مغروسة توتاً تروى بمياه النهر . والبعوض يغشى منازل بيروت بكثرة ويكثر وجوده او يقل في قرى سفح لبنان فلا يسلم منه الا قليل منها . وليس في مدينة بيروت نفسها اثر لنوع البعوض المسمى انوفوليس (بعوض الملايا) مع انني دقت في التفتيش عنه انا وغيري ولكن النوعين المسميين كوككس فاتجنس *Culex fatigans* و *Stegomyia fasciata* يغشيانها بكثرة ووجدت نوع كوككس فاتجنس (البعوض العادي) في كثير من قرى لبنان المشرفة على بيروت الى علو ٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر وكذلك نوع *Stegomyia fasciata* ولكنه اقل من الاول

وفي اوائل تفشي المرض جربت عدة تجارب لا تحقق ما اذا كان البعوض المسمى كوككس فاتجنس ينقل العدوى من شخص الى آخر . واول تجربة جربتها كانت في امّ وطفل رضيع لها . ففي بدء اصابتها اعدم البعوض كله من غرفتها بواسطة غاز الكلور وكانت تنقل كل يوم من غرفة الى اخرى بعد اعدام البعوض منها . وقد بقيت مريضة مدة خمسة عشر يوماً كانت

الحُمى فيها شديدة وسمح لها بارضاع طفلها في تلك المدة كلها ولكنه لم يصب بمكروه البتة والتجربة الثانية تمت على الطريقة نفسها واتخذت جميع الاحتياطات لابعاد البعوض كما في الاولى وكان المريض فيها صبيًا عمره احدى عشرة سنة وله ثلاثة اخوة دونهُ سنًا وعمر اصغرهم اربع سنوات وكان الاربعة ينامون في فراش واحد موضوع على الارض فلم يصب احد من الثلاثة الاصحاء بالمرض واعتني بطرد البعوض من الغرفة مدة ١٣ يومًا

واتجربة الثالثة جرت لرجل له ثلاثة اولاد قد اصاب بالمرض ورضي باحتمال كل مشقة ليحیی زوجته واولاده منه فاتخذت التدابير اللازمة كما في الحادثتين السابقين . وكانت الحمى معه شديدة واستمرت خمسة ايام وظهر نفاط على الجلد وتساقطت منه قشور . وطرد البعوض من الغرف مدة ١٢ يومًا فلم يصب احد غيره من افراد عائلته بالمرض

وقد اعدت هذه التجارب في حوادث اخرى ولكنني عدت فعدلت عنها بسبب اهمال اهل المرضى فاني كنت أرى البعوض في الغرف عند عيادتي لمرضاهم وكانوا يقولون انهم يفضلون الاصابة بالحمى على العزل . وخلاصة القول ان النتائج جاءت على ما يرام حيث اتخذت الاحتياطات اللازمة

على ان الدلائل في التجارب المتقدمة كانت سلبية وعليه جربت تجارب اخرى للوصول الى نتيجة ايجابية وذلك بالتقيح . وعذري في تعريض الناس للعدوى هو ان كل شخص قابل لها في المدينة كان لا بد ان يصاب بالمرض على كل حال . ثم ان المرض ليس ذا خطر على من كان شابًا وصحيح الجسم . وكنت اصف ماهية التجربة لمن يتقدم لها من الشبان — ولم اكن اخثار سوى الشبان الاصحاء — فكان يبدي رضاه التام باحتمالها مقابل دراهم يُنقدها . ولم تكن هناك صعوبة في وجود اشخاص يرضون احتمال التجربة بل في اختيار اصليهم لها . فاخترت اربعة اشخاص من عائلات لم يصب احد من افرادها بالمرض وكنت آخذ كل مرة عدة بعوضات من داخل ناموسية المصابين بالدنج واضعها داخل ناموسية الاشخاص المراد تقيحهم وكانوا ينامون ليلة بعد ليلة وهذه البعوضات داخل ناموسياتهم . فاصيب اقدمهم بالمرض بعد وضع البعوضات داخل ناموسيته بخمسة ايام والثاني بعد وضعها بستة ايام والثالث باربعة . اما الرابع ففضى عليه اسبوع ولم يصب بسوء فبحثت ببعوضات اخرى مكان البعوضات الاولى فاعدت الكرة عليه وعدت خائبات . وقد اخبرني هذا الشاب انه اصاب بالمرض مدة تفسيه سنة ١٨٨٩ وصحب ذلك ظهور نفاط على الجلد وسقوط قشور منه . ولعل ذلك كان السبب في عدم قبوله للعدوى هذه المرة

وقد اصببت انا بالمرض سنة ١٨٨٩ واشتدَّت وطأته عليّ ولكني لم اصب به هذه المرة مع اني تعرضت له على الدوام ولم أعن بوقاية نفسي منه . وقد اشترطت على الذين عملت التجارب فيهم ان لا يخرجوا من منازلهم فلا يأخذوا العدوى من الخارج ومع ذلك كله لم اتق تمام الثقة انهم لم يأخذوا العدوى من طريق آخر نظراً الى كثرة انتشار المرض وشدته في مدينة مثل بيروت . فلتلافي هذا الامر اخذت بعض البعوض من داخل سرير رجل مصاب بالدنج وصعدت به الى قرية على سفح الجبل لم يكن احد من اهلها قد اصيب بالمرض بعدُ وكنت قد اغسلت وغيّرت ملابسي قبل صعودي الى الجبل . والقرية المذكورة تعلو نحو ٣٠٠٠ آلاف قدم عن سطح البحر ولا يكاد يكون للبعوض اثر فيها وهوأؤها جافٌ موافق للصحة جداً . وبعد بحث قليل اهتديت الى شابين يقطن كلٌ منهما منزلاً بعيداً عن الآخر فرضيا ان تعمل تجربة التلقيح فيهما . فأصيب احدهما بنوبة شديدة من الدنج بعد ان نام اربع ليالٍ تحت ناموسية فيها عدد من البعوض والآخر بعد خمس ليالٍ وبقياً يتامان في غرفتيهما اياماً بعد ان نقها وكنت قد اعدمت البعوضات التي داخل ناموسيتيهما حتى لا يصاب احد غيرهما بالمرض . فلم اعلم باصابة واحدة هناك مدة الصيف كله مع انني لم ألُ جهداً في البحث والتحقيق وحدثت اصابات كثيرة في قرية كبيرة اسمها عاليه وهي على علو ٢٣٠٠ قدم عن سطح البحر ومعظم منازلها يغشاها البعوض (كوكس فاتجنس) . وهناك قرية اخرى اسمها بمحمدون على علو ٤٠٠٠ قدم عن سطح البحر وهي جافة الهواء وقما يرى للبعوض اثر فيها وواقعة على خط سكة الحديد . وقد جيء اليها ببعض المصابين بالدنج من بيروت ولكن المرض لم ينتشر بين الذين لم ينزلوا الى بيروت منها . وحدثت عدة اصابات في عين صوفر وهي على علو نحو ٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر ولكن هواءها اقل جفافاً من هواء بمحمدون وبعوضها كثير اما عارياً والشويفات وغيرها من القرى الواطئة المجاورة لبيروت فاشتدت فيها وطأة الدنج مثل اشتدادها في بيروت تقريباً

وفي ابتداء المرض سنة ١٨٨٩ قضيت ليلة في بيروت ثم مضيت انا وجماعة من اصحابي الى مكان في جبال طورس يعلو ٤٦٠٠ عن سطح البحر وكان اثنا عشر شخصاً منّا ينامون في مكان واحد بين شجر الصنوبر حيث لم يكن للبعوض اقل اثر . وفي الليلة السادسة من خروجي من بيروت اُصبت بنوبة شديدة من الدنج دامت خمسة ايام واختلفت درجة الحرارة فيها بين ١٠٣ و ١٠٥ بمقياس فارنهایت وعقب ذلك ظهور طفح على الجلد وسقوط قشور منه كمن اصيب بالحمى القرمزية ولم يصب احد من الاحد عشر شخصاً الذين كانوا يقيمون معي في مكان واحد .

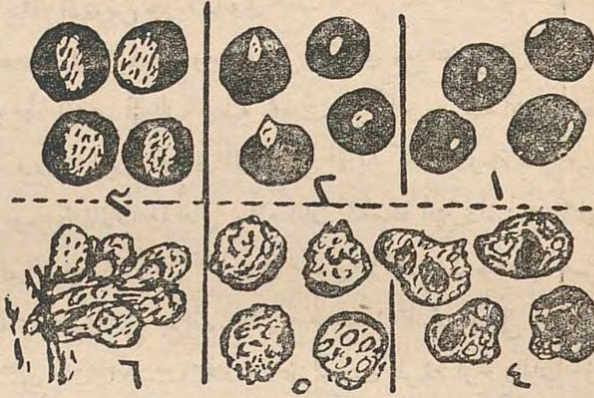
فيلوح لي من التجارب المتقدمة ومن ابحاث الآخرين في هذا الصدد ان البعوض هو ولا ريب السبب في نشر المرض وان النوع العادي المسمى كولكس وهو ما كنا نعدّه عديم الضرر الى الآن ينقل العدوى بلا شك ولا ارتياب

والتجارب التي شرحتها في صدر هذه المقالة وابنت بها اني وقيت الاصحاء بمنع البعوض من الوصول الى المصابين مع ان الاصحاء كانوا في اختلاط دائم معهم تدلّ ايضاً على ان المرض لا يعدي ما لم ينقل البعوض سمّ العدوى

ولما تقرّر عندي ان البعوض واسطة نقل العدوى من شخص الى آخر استدلت طبعاً ان سبب المرض او سمّه انما هو في الدم وعليه فخصت دم أكثر من مئة شخص اصابوا بحمى الدنج املاً بان اجدّه فيه . فاخترت لتجاري الاشخاص الذين كانت درجة الحمى فيهم عالية واعراض المرض ظاهرة وسيره قانونياً ولم ابال بالاصابات الخفيفة التي دامت يوماً او يومين ولم ترتفع درجة الحرارة فيها فوق المئة . واستعملت في تحضير الانموجات وخصها نفس الطرق المستعملة لفحص الدم الذي يحنوي على جراثيم الملاريا . فجاءت النتيجة على ما يرام عند فحص الدم جديداً اما الانموجات فكنت استحضرها على حسب طريقة ارلخ والونها بازرق المتيلين او به مع البورق وصبغة ارلخ ولكن النتيجة لم تأت بالمرام في اول الامر مع شدة الاعتناء وتكرير البحث . واخيراً رأيت في كريات الدم الحمراء جسمًا ذا حركة يشبه مكروب الملاريا المسمّى بلازموديوم ملاريا من وجوه عديدة . غير اني وجدت صعوبة عظيمة في تتبع ادوار حياته لانه بطيء النمو جداً حتى ان كريات الدم كانت تفسد وتخلّ في الانموجات التي استحضرتها للفحص مهما بالغت في العناية بها قبلما اتمكن من معرفة شيء يذكر عن ادوار حياته . وكانت الحمى تستمر في هذه الحوادث من اربعة ايام الى ثمانية او عشرة . فلكي اراه في ادوار المختلفة استحضرت عدة انموجات من الدم من ابتداء الحمى الى آخرها وكنت ادون تاريخ ابتداء الحمى باليوم والساعة وتاريخ استخراج الدم لفحصه . وبعد تمرين قليل على العمل صرت ارى هذا المكروب في كل اصابة . وقد صوّرت ما كنت اراه بالميكروسكوب في فحص الانموجات ورتبت الاشكال ترتيباً طبيعياً على قدر ما امكن

الشكل الاول يمثل ما رأيته في عدة كريات حمراء عند فحص الدم مدة الاربع والعشرين ساعة الاولى من الاصابة . ولون المكروب اخف من لون الكريات الحمراء وهو يرى احياناً في وسط الكرية واخرى في طرفها ولكنه يغير مركزه في الكرية على الدوام والكريات التي يوجد فيها اقل كثير من الكريات التي يوجد فيها مكروب الحمى المثلثة ولكن الذي يدق الفحص يجده على الدوام

الشكل الثاني يمثل المكروب في الادوار المتقدمة من حياته ورؤيته اذ ذاك اسهل مما هي عليه في سائر الادوار ويظهر انه يبقى كذلك حتى اواخر الحمى . ومن الاسباب التي تجعل اكتشافه في الدم اصعب من اكتشاف مكروب الملاريا فقد اللون منه خلافاً لمكروب الملاريا فان اللون الذي يكونه اسهل رؤية تحت الميكروسكوب من المكروب نفسه . وهو حيوان من فصيلة البروتوزوا ولكنه بلا لون وبهذا يختلف عن مكروب الملاريا



الشكل الثالث والرابع يمثلان المكروب في ادوار أكثر تقدماً مما في الشكل الثاني . ومن نحو اليوم الرابع الى السادس من ابتداء الحمى ترى قطع كثيرة من كريات الدم المتكسرة تحت الميكروسكوب وفي هذه الامودجات يرى غالباً وهو خارج من قطع الكرية او محاط ببقاياها . وبعد خروجه منها يدركه الانحطاط . ولم أر كرية بيضاء تهاجم مكروباً وتبتلعها وهو في دور النمو والحركة بل كنت اراها غالباً تفعل ذلك بعد ما يدركه الانحلال وينقطع عن الحركة وعند انتهاء المرض وهبوط الحمى كنت أرى الكريات البيضاء متضخمة مما ابتلعته من المكروب الميت . وقد دقت كثيراً في فحص الدم وقت الاصابة الثانية والثالثة فرأيت ما رأيته في الاصابة الاولى . ولما كانت هذه المكروبات اقل عدداً في الدم من مكروبات الملاريا وابطأ نمواً وغير ماثونة كانت ايضاً اقل ظهوراً منها واعسر اكتشافاً . ولكن الذي تعود رؤيته مكروب الملاريا لا يخطئ اكتشافه مرة واحدة

فيستنتج اذاً من وجود هذا المكروب في الكريات الحمراء من دم المصابين بالدنج ومشابهته لسائر صور المكروبات التي ثبت انها تسبب الحميات وانتقاله من شخص الى آخر بواسطة البعوض ان هذا المكروب سبب حمى الدنج
هذا وان سكان بيروت فئتان فئة تقضي الصيف في الجبال واخرى في المدينة نفسها .

وفي اواخر صيف ١٩٠١ تفشت حمى الدنج فيها ولم يبقَ احدٌ الاً اصيب بها . ولما زالت واخذ الهواء يبرد عاد المصطافون الى المدينة آمنين شرّها . ولكنها فتكت بهم ولم تنتهِ حتى اوائل ديسمبر . فيظهر من هذا ومن كثرة الذين أُصيبوا بها — وهم يبلغون ٧٥ الى ٨٥ في المئة — ان السبب في زوالها ليس ببرودة الهواء بل كون القابلين عدواها قد أُصيبوا بها

وفي شهر يناير سنة ١٩٠٢ عاجلت اربعة اشخاص مصابين بالدنج وفي فبراير ثلاثة وكانوا كلهم قد جاؤا حديثاً من داخلية البلاد حيث لم يكن للدنج اثر فوجدت المكروب فيهم كلهم عند فحص الدم في اوائل المرض . ولم يبقَ احدهم في بيروت سوى ايام قليلة قبل اصابته . فيستدلُّ من هذا ان حمى الدنج قد تكمن مدة طويلة بعد ما تزول آثارها ظاهراً

ومما يجب ذكره اني لم اختر لتجاربني في الحوادث المتقدمة سوى اصابات الدنج الواضحة وكلنا يعلم ان من اسهل الامور عندنا ذكر "ابو الركب" فكلُّ اصابة بالحمى يعسر استقصاؤها وتشخيصها نقول انها ابو الركب وذلك على مدار السنة سواء كان ابو الركب منتشرًا او لا فتطمئن بذلك خواطر اهل المريض وان كانت ضمائنا لا نطمئن به . فاذا كانت الاصابة في الشتاء ولا اثر لحمى الدنج قلنا انه "ابو الركب الشتوي" وغايتنا من ذلك حمل اهل المريض واصدقائه على الاطمئنان وسكون البال من جهته . على ان قسمًا عظيمًا من امثال هذه الحوادث لا علاقة له بالدنج البتة فيجب ان يسمى اسمًا آخر

وفي اعتقادي ان التجارب المتقدمة تزيل ما بين الباحثين من اختلاف الآراء . فان بعض المشاهير من الاطباء يذهبون الى ان الدنج مرض شديد العدوى ويخالفهم غيرهم من مشاهير الاطباء ايضاً فيقولون انه مرض ينشأ عن الرطوبة ولا يعدي في الاماكن العالية . والسبب في هذا الاختلاف ان الاولين راقبوا المرض في اقاليم تكثر انواع البعوض فيها على حين ان الآخرين راقبوه حيث لا وجود للبعوض او حيث وجوده قليل

اما التجارب الاولى التي عملتها في صيف سنة ١٩٠٠ فقد جمعت البعوض فيها بلا تحريم ولا اختيار فجاء معظمها من نوع الكولكس ولكنني كنت اجد بعوضاً من النوع المسمى ستيكومييا في كل مرة تقريباً

وفي صيف سنة ١٩٠٢ عملت عدة تجارب لتتبع سير المكروب ونقلاته في اجسام البعوض واخترت لذلك نوع الكولكس فاتجنس لاني وجدته اسهل للتجارب من جميع الوجوه نظراً الى شرايته وبعض عوائده الاخرى . ولكنني وجدت صعوبة عظيمة في الاهتداء الى اصابات واضحة بالدنج . فانه رغمًا عن ان الدنج قد يصيب الشخص الواحد مراراً وجدت ان معظم الاصابات

الواضحة انما هي اصابات الذين قدموا المدينة من الخارج او الذين لم يصابوا بالمرض في السنة السابقة وكنت اذا اهديت الى الاصابة آخذ ثلاثين او اربعين بعوضة جائعة واضعها داخل سرير المصاب . وفي المساء التالي كنت آخذ ربعها او ثلثها وقد امتلأت معدتها دماً وأضعها في قفص فيه ماء وقشور موز او عنب واكتب ورقة فيها تاريخ وضع البعوضات في القفص وغير ذلك من المعلومات والصقها عليه . وهكذا حتى صار عندي من الاقفاص بقدر عدد الاصابات . وكنت كل يوم اقتل بعوضة واحص محتويات معدتها وجدرانها والغدد اللعابية تحت قوتي المكروكوب الواطئة والعالية واشترح جدران المعدة والغدد اللعابية تحت المكروكوب فكان هذا العمل يقتضي وقتاً طويلاً وتعَباً كثيراً وكنت اخص الدم في محلول ملحي فوجدت المكروب فيه وشاهدت ثقلباته في ادواره المختلفة فاذا هي تشبه ثقلباته التي شاهدها في الدم المستخرج من العليل في صيف سنة ١٩٠١

على انه ظهر لي ان نمو المكروب في معدة البعوضة كان اسرع واكثر وضوحاً مما هو عليه في دم العليل . وقد وجدت المكروب في كل تجربة من التجارب التي عملتها حتى بعد امتصاص البعوضة للدم بخمسة ايام وظهر لي ان وجود المكروب اسهل واكثر تحقيقاً في معدة البعوضة منه في دم الانسان وان نموه ابطأ في الدم الذي امتصه البعوض في اوائل المرض منه في اواخره . ولكن التغيرات التي كانت تطرأ من يوم الى آخر على المكروب الذي في معد البعوض لم تكن تختلف بشيء جوهري عن التغيرات التي كانت تطرأ على ما كان منه في جسم الانسان وقد فحصت بعوضاً امتص دم مريض في اليوم الرابع من مرضه فوجدت البزور بين خلايا الغدد اللعابية في مدة اربع وعشرين ساعة . وذلك يدل على ان البعوض يستطيع نقل العدوى بعد امتصاص الدم من جسم المصاب بوقت قصير

اما عدد البزور التي تقذف من كيس مكروب واحد فيختلف باختلاف الاحوال ولم يمض سوى وقت قصير على خروجها من الكيس الاصلي حتى وجدت في جدران المعدة وبين خلايا الغدد اللعابية . ولا ريب عندي ان هذه البزور تدخل الجسم مع لعاب البعوض عند امتصاصها لدم الانسان ثم تنمو في الدم وتسبب حمى الدنج

وقد اتفق ذات يوم ان قرينتي كانت تحضر لي بعوضة من القفص المعد لتربية البعوض فما شعرت الا وبعوضة اخرى تلسعها وفي اليوم الثالث من تلك الحادثة اصابها غثيان شديد وقيء ثم حمى شديدة مثلاً يصيب المحموم بالدنج . وكانت هذه اول مرة اصيبت فيها بحمى الدنج ولم يكن احد من سكان منزلنا قد اصيب بها في الصيف ولا ذهبت الى مكان تعرضت

فيه لهذه الحمى . وكانت البعوضات التي في القفص قد امتصت الدم من العليل المصاب بالحمى قبل لسعها لقرينتي بخمسة عشر يوماً

وقد تمكنت من حفظ بعض البعوض التي في القفص حية مدة شهر بعد امتصاصها للدم ووجدت في آخر تلك المدة يزور المكروب في الغدد اللعابية . وحققت البعض بالغدد اللعابية بعد ما مزجتها بمحلول الملح المعقم وكنت قد اخذت الغدد اللعابية من بعوضة دخلها المكروب منذ ٢٧ يوماً . وفي اليوم الثالث من الحقن تحت الجلد اصيب المحقون بقشعريرة وحمى شديدة واعراض اخرى تشبه اعراض المصاب بالدنج وكانت الحمى شديدة الى حد ان اجمعت عن عمل تجارب اخرى من هذا القبيل . وعملت تجارب اخرى لأعلم ما اذا كانت بيوض البعوض تحتوي على هذه البزور ولكني لم اهتدي الى الحقيقة بعد

هذا وقد نشرت المجلة الطبية الانكليزية مقالة في ١٢ يوليو سنة ١٩٠٢ عن حمى الدنج من قلم الدكتور ستدمان في هونغ كونغ . ومن جملة ما قاله فيها انه وجد مكروب الملائريا في دم بعض الذين عاودتهم الحمى وسمع ان آخرين ايضا وجدوه مثله وذلك يدل على ان حمى الدنج اما انها تنثر الملائريا الكامنة في الجسم او تعد المصاب لقبول عدوى جديدة قد تعرض له وعندى ان الدكتور ستدمان لم يشاهد مكروب الملائريا بل مكروب الدنج . نعم ان مكروب الدنج يكون اكثر عدداً في نكسات الحمى مما يكون عليه عادة في الاصابة الاولى ولكنه يرى في الاصابة الاولى ايضا بعد الفحص الدقيق . وكثيرون من الذين عاودتهم حمى الدنج لم يصابوا بالملائريا قبل اصابتهم بالدنج ولا بعدها ومعظمهم في سورية يسكنون اماكن لا اثر لنوع البعوض المسمى انوفليس فيها لينقل الملائريا اليهم . وميكروب الدنج يشبه مكروب الملائريا تحت الميكروسكوب ولكن نموه في معد البعوض واجسامها وادوار حياته ونقدهم يختلف كثيراً عن صفات المكروب الذي اكتشفه ماركيافاو وسلتي فلا يقع التباس بينها . ولست اعلم نوع المكروب الموجود في هونغ كونغ ولكني اعتقد ان المكروبات التي رآها الدكتور ستدمان هي نفس الميكروبات التي وصفتها في مقالتي هذه وهي تعيش وتنمو مثلها كما يظهر للباحث المدقق

ويستدل من اكتشاف سبب حمى الدنج انها من نوع الحمى المalarية وان العلاجات المستعملة لمنع الملائريا يجب ان تستعمل ايضا لمنع الدنج . فالمسألة اذ مسألة حرب مشهورة على البعوض . وعندى انه متى ابدنا جيوش البعوض العادي المسمى كوكس فاتجنس من بيننا باتت حمى الدنج في خبر كان [المقتطف] توسعنا في كلمة ميكروب فاطلقناها على كل حي صغير لا يرى الا

بالميكروسكوب سواء كان من انواع الباشلس او من غيرها

باب المراسلة والمراسلة

قد رأينا بعد انه ختار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشجيعاً للاذمان . ولكن المهمة في ما يدرج فيه على اصحابه فمن يراد منه كماله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فهناظر كظنيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خور الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الانجاز تستغار على المطولة

الدكتور سليمان الخوري

رزئت مدينة حمص في ٢٢ تشرين الاول سنة ١٩٠٢ ش ب وفاة احد اركانها وكبار اعيانها المرحوم الدكتور سليمان افندي الخوري ولد سنة ١٨٣٠ وبرع في كثير من المعارف وحصل الطب اولاً بنفسه ثم درسه على بعض الاطباء المصريين وكان قد تعلم العربية والتركية والفارسية

وفي سنة ١٨٤٩ انقذ الباب العالي طبيباً من قبله لامتحان الاطباء والجراحين والصيدالة في ولايات الاناضول وسورية فلما وصل حمص لم يجد فيها من يحسن التطبيب سوى صاحب الترجمة ووالده فاعطاها اجازتين بذلك وصدر امر سام من نظارة الداخلية سنة ١٢٩٤ هجرية يعترف به طبيباً قانونياً . وقد اشتهر بغيرته على صناعته ومعالجة الفقراء مجاناً وخصوصاً في سني تفشي الكولرا في حمص فانها ظهرت ست مرات فيها من سنة ١٨٤٨ الى ١٨٩٥

وبعد وفاة والده عين وكيلًا للبطرك الانطاكي في ابرشية حمص سنة ١٨٦٥ ثم نائباً لمطران حمص واعطي لقب المحامي عن حقوق المسيحيين وعين وكيلًا لاقواف طائفته . ولما كان المطران لا يحسن العربية كان صاحب الترجمة ينشئ عظة كل اسبوع ويدفعها الى كاهن من الكهنة فيقرأها على جماعة المصلين

ولم تقتصر اعماله على خدمة طائفته بل خدم الدولة خدمة تذكر فعين عضواً نائباً من المسيحيين في مجلس ادارة حمص سنة ١٨٦٥ حين ابتداء تشكيل الولايات الشاهانية ثم انتقل مركز المتصرفية الى حماه فاعيد انتخابه ولكنه رفض ذلك حباً بخدمة مدينته ومسقط رأسه . وعين عضواً في محكمة البداية سنة ١٨٨٠ ثم مستنطقاً في السنة التالية وبقي كذلك الى سنة ١٩٠٠ فاستعفى لظنعه في السن

وقد كافأته الدولة على خدمته الصادقة فمنحته الرتبة الثانية المتمايزة . ولما فشت الكولرا في حمص سنة ١٨٩٠ ارسلت الولاية اليها وفداً من الاطباء العسكريين ليؤلفوا هم واطباء المدينة لجنة صحية لمقاومة الوباء فعين صاحب الترجمة رئيساً لتلك اللجنة



وكان وديعاً لين الجانب كارهاً للتعصب ثقيلاً بارعاً في الانشاء والخطابة اميناً في خدمة الدولة متضلعا من قوانينها ونظاماتها وكان يحب المطالعة فاقتنى مكتبة جامعة لانفس الكتب القديمة والحديثة وعُرف ببيله الى المجالات العلمية وخصوصاً المقتطف اقدمها وقد خدمه خدمة غيرة واخلاص منذ اول انشائه . وكان ولاه الامور بكرمونه ويحلوته ولما توفي اقيم له مأتم

حافل وابنة العلماء وراثه الشعراء ونعتهم الجرائد السورية وبعض المصرية . أكثر الله من امثاله وجعل من نجليه الدكتورين البارعين خير خلف لخير سلف
حمص
رزق الله نعمة الله عبود

المدارس السورية الانكليزية

قرأت في المقتطف الاغر في الجزء الرابع من المجلد الثامن والعشرين مقالة لحضرة صاحبة الامضاء س . خ . بعنوان " المدارس السورية الانكليزية " فوجدت فيها بضع هفوات احببت ان انبه صاحبة المقالة اليها لتجنب الوقوع في مثلها ولكي يزول اثرها من النفوس قالت حضرتها " لئن تعددت المدارس السورية على اختلاف اجناسها وطبقاتها فانها لم تدرك شأو المدارس السورية الانكليزية فائدة وفضلاً الخ " الى ان قالت " حتى بلغ عدد المدارس الانكليزية في ايامها (اي السيدة كارولين طمسن) ٥٩ ما بين داخلية وخارجية وبلغ عدد المعلمات الوطنيات ١٣٦ والاجنبيات ١٨ والطالبات ٤٦٨ "

مجال الانتقاد هنا هو تفضيلها المدارس الانكليزية على غيرها فبناءً على اي شيء فضلتها؟ فان كان الفضل بعدد الطالبات فما هو عدد ٤٦٨ طالبة من عدد الطالبات في سوريا؟ او بالفائدة التي تنالها الطالبة فاين اضاعته فضل بقية المدارس كالبروسيانة ومدرستي الاميركان في بيروت وصيدا؟ وقد اخذت حضرة الكاتبة المدرسة الداخلية الكبيرة في بيروت اساساً لكلامها عن المدارس الانكليزية وتفضيلها على غيرها فهذه المدرسة هي مصب كل المدارس الانكليزية الاخرى على اختلاف طبقاتها ولا يخرج منها في السنة اكثر من ٨ طالبات الى ١٢ طالبة من الحائزات شهادتها وكل من المدارس الثلاث السابق ذكرها تخرج عدداً يفوق هذا. ثم ان كانت فضلتها في نوع التعليم فمدرسة الاميركان في صيدا تفوقها في تعليم تدبير المنزل ومدرسة الاميركان في بيروت تفوقها في تعليم مبادئ العلوم ومدرسة القديس يوسف (في بيروت) تفوقها في تعليم الاشغال اليدوية والمدرسة البروسيانة في بيروت تفوقها في تعليم العلوم الابتدائية والتكميلية . فلو فضلت المدارس الانكليزية على المدارس الفرنسية وحدها او الاميركية وحدها او البروسيانة لكان من الممكن ان يصح قولها ولكن تفضيلها اياها على الكل معاً خطأ وحضرها لا تجهل ذلك . وهي حرة ان تمدح المدرسة التي تعلمت فيها ما شاءت ولكن لا يحسن بها ان تغض من كرامة غيرها من المدارس

ثم ختمت مقالها بما يأتي قالت " وما يجدر بنا الاشارة اليه اقراراً بالفضل هو ان السيدات

اللواتي اخذن على انفسهن ادارة المدارس السورية الانكليزية لم يبدلن ما بذلن من العناية والاهتمام في شؤون الفتيات الا ابتغاء وجه الله الكريم وحجاً بالقرب الخ

فاني اسلم بان الاقرار بالفضل واجب ولكن لماذا خصصت حضرة الكاتبة السيدات اللواتي اخذن على انفسهن ادارة المدارس السورية الانكليزية بابتغاء وجه الله الكريم وحب القريب دون غيرهن؟ أو هل لبقية السيدات المهذبات والمعلمات والمؤدبات قصد غير هذا؟ وانا واثق انها لا تقصد الغرض من كرامة سائر المعلمات المهذبات ولو تضمن كلامها ذلك فغسي ان تجلي الحقيقة دفعا لما يتبادر اليه الوهم وارجو منها المذرة على هذا التعقيب الذي لا اقصد منه الا جلاء الحقيقة

بيروت

تاجر

توجيه نظر

حضرة منشي المقتطف الفاضلين

لا يخفى ان كثيرين ممن يلبسون الطربوش يشكون من عدم ملائمة ووفائه بالغرض الذي يلبس من اجله لانه لا يقي الرأس الحر والبرد وقاية تامة واذا تبلل من العرق او المطر انكمش وتقلص واذا اصابه الغبار ظهر عليه وان سافر لابس في بلاد ليس بها مكواة (كما يتفق للمسافرين في اوربا واميركا او الجبال والارياف) اضطر ان يحمل معه المكواة او يلبس الطربوش على علانه مجعدا متقلصا ينفر منه الذوق السليم . هذا وانه لا يمضي عام او شهر الا ونسمع فيه باختراع جديد للاوروبيين والاميريكيين او اصلاح للمخترعات الموجودة فنوجه انظار الاذكياء من الشرقيين بواسطة مقتطفكم الاخر الى اختراع طربوش واف بالغرض خال من العيوب او اصلاح الطربوش الموجود واخذ امتياز به وفي ذلك من الفائدة للمخترع او المصلح ما لا يخفى على احد

دمشق الشام

احد المشتركين

الغربان والنخل

حضرة الفاضلين منشي المقتطف

ذكرتم في ما كتبته عن طبائع الغربان قولاً للباحظ طلبتم من القراء ان يطرفوكم بما يثبتونه او ينفيه . فرأيت ان اكتب اليكم بما اعلمه وهو انه اذا سقط الغراب على نخلة بحث عن ثمرة طيبة واخذ في نقرها وهو يلتفت ذات اليمين وذات اليسار او ينقرها ويطير عنها من شدة خوفه فاذا لم يجد زاجراً يزجره رجع اليها واكلها كلها وفتش عن غيرها الى ان يشبع . ولا يتساقط التمر الى جوف الليف بل يقع على الارض لان الاعداق تكون بعيدة عن الليف . ولم ار قط غراباً التقط ثمرة من جوف الليف

اسكندر نبية

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم أهل البيت معرفة من تربية الأولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مسز هكفور

هي الكاتبة الفاضلة المتوقفة ذكاء الجريئة التي لا تعرف الخوف العاطفة على بني الانسانية والمخفقة للآلام لم يدفعها الى ذلك عوز ولا اقتادتها فاقة بدليل انها ولدت في بيت شرف عريق في النسب . وانما وجدت من جناتها حناناً ومن عواطفها انبعاثاً ساراً بها الى احمد المساعي واشرف الاعمال . خمدت انفاسها الطاهرة وهي تجاهد الجهاد الحسن في خدمة الانسانية وحسبنا ان نقول فيها ما اورده جريدة التيس في تأبينها . قالت

”وقع نعيمها وقع الصاعقة في نفوس معارفها العديدين ولا غرو فان السامعين بعشر اعمالها العظيمة ومساعدتها المشكورة يشعرون ان بلادها مفتقرة اليها اشد افتقار ولا نبالغ اذا قلنا انها من النساء القليلات اللواتي تحتاج البلاد اليهن“ ثم ذكرت طرفاً من تاريخ حياتها فأثرتنا تلخيصه ليكون قدوة تقتدي بنات الشرق بها

ولدت الفقيدة عام ١٨٣٦ ولم يذع فضلها ولا سار في البلاد ذكرها الا عام ١٨٦٦ حين دخول الهواء الاصفر الى انكلترا فانها تركت القصور وما فيها من رخاء وصفاء منفلة عليها تريض المصابين بالوباء وتحمل العناء ومعاناة الشقاء غير طالبة من الناس شكراً وانما راجية في الآخرة اجراً . وكان هناك طيب ذو ثروة واسعة يجاهد مثلها ويحذو حذوها فلما زال الوباء افترنا واشتركا في حلو الحياة وصاحبها . ونمت عاطفة الحنان في ذنبك الصدرين المملوئين شهامة ومروءة وزادها الارتباط الزوجي تحركاً وحياءً فاستفترتهما الى استئجار بناء جعلاه مستشفى لترريض النساء والاولاد وسكننا في الطبقة السفلى منه وانهمكما في عملهما الشريف انهما كما لم يعرفا معه طيب نعيم ولا ذاقا لذة وسن فتضوع طيب ذكرها وسمت منزلتهما وكثر الزائرون لهما من عليا الانكليز

ثم افترقها الله بقرينها الصالح وبقيت هي قائمة على قدم الهمة في العمل لم يقعداها التقدم في السن ولا اوهن عزمها الحزن . ثم شيد بناء فخيم لذلك المستشفى وتولت ادارته لجنة من ذوي العزم الثابت وسافرت هي ومعها وحيدتها الى نابولي حيث اقامت عدة سنين وتزوجت

ابنتها بحامٍ فيها وسافرت هي الى اصقاع كثيرة في الهند ولازمت مستشفى هناك نحو سنتين ثم آتت الى انكلترا . ولما ضُمَّت الترنسفال الى انكلترا اول مرة سافرت اليها فلاقته من شطف المعيشة ما أوهن قواها الا ان عوامل الحياة في قلبها لم يضعف خفقانها بل بقيت حية نشيطة . وقد رُحِلَ لها السكنى مع عائلة احد النواب فكانت تعلم اولاده ثم اشترت ارضاً واعننت بها الا انها نكبت مع الذين نكبوا من الرعايا الانكليز لما ثار البوير عام ١٨٨٠ ولسوء بختها انها كانت من الذين حوصروا في بريتوريا عامئذٍ . ولما لقت الحرب اوزارها قفلت راجعة الى انكلترا الا ان حنينها الى الترنسفال جعلها تسافر اليها ثانية فتاجرت فيها واتسع نطاق تجارتها ووضعت كتاباً بليغ العبارة دعه "تجارة سيدة في الترنسفال" ولقيت من رجال الحكومة الترنسفالية اضطهاداً شديداً لانها كانت تكشف الحجاب عن مساوئهم وتراسل جريدة التيمس وغيرها من الصحف الانكليزية ذاكرة ظلمهم للانكليز القاطنين في جوارهم وعند ما شبت الحرب الانكليزية الترنسفالية الاخيرة كانت مستوطنة بلاداً تبعد اربعين ميلاً عن بريتوريا فلما سمعت ان الانكليز ملكوها امتطت جواداً منطلقة اليها وابلغت اللورد روبرتس كل ما تعلمه من احوال البلاد . ثم رجعت الى انكلترا منذ ثمانية عشر شهراً لتساعد على سنّ لائحة لانشاء مدرسة لانباء البوير الفلاحين ووضع كتب لهم في التاريخ والجغرافية ووقفت على ذلك ما تملكه من مال وعقار . وكانت تنوي العودة الى الترنسفال في الخريف القادم مؤمنة انها اذا لم يطل الله في اجلها خلفها من يقوم بعملها مكانها الا ان صحتها اخذت تضعف وتخط حتى قُضِيَتْ الى رحمة ربها وهي في السادسة والسبعين من عمرها . هذه سيرة امرأة فاضلة وقفت نفسها على نفع بني الانسان وحب الوطن وبذل الاحسان وسيخفظ الشعب الانكليزي ذكرها الطيب على توالي الاعوام

استحق صرّوف

تمريض المرضى

امراض الاطفال

امراض الاطفال الاعيادية اربعة وهي الشبهة والحصبة وجذري الماء والتهاب الغدد النكفية المسمى عند العامة "ابو كعيب" . وليست هذه الامراض ذات خطر ولكنها معدية فقد تنتقل من ولد الى آخر في العائلة الواحدة حتى يصابوا كلهم . وتصل بهم غالباً من المدرسة

الشبهة

اذا اصيب الطفل بالشبهة فلا يعمل له شيء الا اذا رافقها التهاب الشعب فيجب حينئذٍ

ابقاؤه في الفراش الى ان يزول الالتهاب واعطاؤه طعاماً خفيفاً مغدياً خشية ان تأخذه نوبة الشبهة بعد الطعام الثقيل . واذا ظهر عليه الضعف والاعياء فليعط ملعقة صغيرة من زيت السمك ثلاث مرات في النهار بعد الطعام . فاذا لم يستفد من هذه المعالجة ودامت الشبهة فيجب ان يؤخذ الى مكان عال يكون هواؤه جافاً
الذئبة

الذئبة مرض آخر من امراض الجهاز التنفسي وقد تصيب الطفل وعمره سنة . واعراضها سعال يشبه صباح الديك وعسر في التنفس وازرقاق في الوجه . وهي مرض يخشى منه فيجب استدعاء الطبيب حالاً . وبعض الاطفال معرضون للذئبة فتصيبهم مراراً متعددة وتكون كلها ذات خطر على السواء فيجب من ثم ان يكون في المنزل الدواء الذي وصفه الطبيب في المرة السابقة ويريق من المعدن له حلة طويلة فيغلي الماء فيه على السبورتو وينشق الولد البخار المتصاعد من الحلة

التهاب الغدد النكفية او ابو كعيب

وهو ورم الغدد التي تحت الفكين وفي الحلق ولما كانت الحمى ترافقه عادة في اوائله فالاحسن ان يبق الولد في الفراش وتلف عنقه بمشمع يوضع فوقه لزقات من الفلانا المغموس بالماء الحار فيخف الألم كثيراً . وهذا المرض معد وقد تستمر عداؤه ستة اسابيع واذا دخل منزلاً او مدرسة فنه تعب كثير

جدري الماء

وهو مرض خفيف الوطأة تصببه حمى خفيفة تميزه عن الجدري الحقيقي لان الجدري الحقيقي يبتدي بقشعريرة وحى شديدة جداً وتظهر البثور اولاً على الجبهة والوجه وتكون صلبة اما جدري الماء فيبتدي بظهور البثور فيه على الصدر والكتفين وتكون البثور لينية وتزول سريعاً . فيجب ابقاء الولد في الفراش اياماً قليلة واعطاؤه طعاماً خفيفاً وملاحظة امعائه . وهذا المرض معد جداً

الحصبة

اول اعراضها سيلان الدموع والمخاط والحمى ثم ظهور البثور في اليوم الثالث . فيجب ابقاء الطفل في الفراش حفظاً لحرارته واعطاؤه طعاماً سائلاً وقليلًا من الخبز المغموس في اللبن او من الرز المطبوخ باللبن ومسهلاً خفيفاً اذا دعت الحال

الفصل الرابع

امراض الجهاز التنفسي

تندرج الذبحة والشهقة تحت هذا العنوان وقد تقدم الكلام عليهما فلا حاجة الى الاعداد بل نبحث الآن في الدفتيريا او الخانوق وهي تصيب الاولاد والبالغين

الدفتيريا

هذا المرض ناشئ عن عدم ضبط المصارف والكنف او السكن في منازل رطبة مضرّة بالصحة . واول اعراضه فقد الشهية والم في الحلق والراس وقفا العنق . ويقال بالاخص ان الدفتيريا هي تسّم الدم في الحلق حيث تظهر رقع بيضاء فيجب دهنها مراراً في اليوم بالسائل الذي يصفه الطبيب بواسطة فرشاة . ولكن يجب على الذي يفعل ذلك ان لا يتنفس والمريض فاتح فاه لان الدفتيريا تعدي بالنفس

ويجب نقل كل ما يمكن نقله من اثاث غرفة المريض الى مكان آخر مثل السجادات وغيرها حتى الستائر الا اذا كانت مما يغسل اذ لا بد من تطهير الغرفة وجميع ما فيها بعد انتهاء المرض . ويجب فرز الفناجين والكؤوس والصحون التي يستعملها العليل عن غيرها وغسلها على حدة ثم اتلافها او غليها او نقعها في محلول قوي من الحامض الكربوليك . ومتى شفي العليل وخرج من غرفته يجب تطهيرها باحراق الكبريت فيها بعد سد جميع منافذها سداً محكماً وقد استعمل اللقاح المضاد للدفتيريا في السنوات الاخيرة فجاء بفائدة عظيمة ولكن الاعراض قد تشتد احياناً حتى يضطر الامر الى عمل عملية جراحية فاذا كان لا بد من العملية فلتعمل بأسرع ما يمكن لان الحلق يأخذ في الورم حتى ينسد فينقطع التنفس ويموت العليل اخناقاً . ولكن اذا دعي الطبيب في حينه فانه يفتح فتحة في العنق ويضع فيها انبوبة تؤدي الى القصبة فيتنفس العليل منها بدلاً من انفه

على انه يجب اعداد الامور الآتية قبل حضور الطبيب تسميلاً للعمل . وهي زجاجة فارغة وریش دجاج وخرق صغيرة بقدر الكف ومقدار كافٍ من الماء الحار والقوط التنظيف وغيرها

اما الزجاجة فلتوضع تحت عنق العليل مدة العملية حتى تثبت العنق موضعها ويرتفع الراس ويبرز الحلق . ويجب ان يقف شخص عند راس العليل ويمسكه بين يديه وآخر مع الطبيب لمساعدته

واما الريش فلتنظيف الانبوبة من المواد الغريبة . واما الخرق فلتنظيف ما حول الانبوبة

وبعض الاطباء يضع قطعة من قطن الكربوليك على فم الانبوبة فلا تدخلها مواد غريبة تعيق العليل عن التنفس ولكن يجب الحذر حتى لا يسد القطن فم الانبوبة وهذا اهم شيء يجب الانتباه اليه في مثل هذه الحوادث . وعليه فان رجلاً واحداً لا يكفي لتمرير عليل مصاب بالدفثيريا لان الانبوبة عرضة لان تسد في كل دقيقة فاذا تم ذلك وانقطع تنفس العليل مات بالاختناق او بتوقف عمل القلب . فيجب من ثم ان يتناوب عدة اشخاص على حراسته ومراقبته وخصوصاً في الليل لانه يكون اسوأ حالاً حينئذ فيحتاج الى زيادة الاعناء . ثم انه لا يجوز ان يسمح لعليل مصاب بالدفثيريا ان يجلس البتة بل يجب ان يطعم بفنجان خاص بذلك او بملقعة وهو مستلق . ويسير وهو مستلق ويصلح سريره من جانب ثم يوضع عليه ويصلح من الجانب الآخر حتى لا يجلس

وليكن طعام العليل خلاصة لحم البقر القوية او الحليب مرة كل ساعتين حفظاً لقوته ومنعاً لفعل سم الدم ولكنه اذا كان ميالاً الى النوم فيجب ان لا يوقظ . اذ لا يعرف الالم الشديد الذي يشعر به المصاب بالدفثيريا في حلقه الا الذي اصابته الدفثيريا وكذلك ألم الراس يشتد حتى يحل للمريض ان اخف صوت يسمعه يكاد يشق راسه

ذات الرئة

هو التهاب احدى الرئتين او كليهما . يتبدى بنوبة فشريرة تعقبها حمى عالية جداً فيشكو المريض المأ في جنبه ويعسر التنفس عليه وينفتح مخراه ويثن عند التنفس اما تمرير المصابين بهذا المرض فيقتضي حذقاً عظيماً وعناية شديدة لان المرض ذو خطر وتغيراته سريعة فيجب الانتباه اليها ومراقبتها

وهناك ثلاثة امور يجب تذكرها في هذا الصدد وهي

اولاً يجب ان يسند راس المريض بالمخدرات لان ارتفاع رأسه عن مساواة بدنه يسهل التنفس عليه

ثانياً اذا امر الطبيب بوضع اللزقات فيجب ان تكون حارة وخفيفة ومستوية اي ليست متكئة في مكان ورقية في آخر لانها اذا كانت كذلك كان ضررها اكثر من فائدها ويجب تغييرها كل ٣ او ٤ ساعات حتى لا يبرد مكانها

ثالثاً ليكن طعام المريض من المواد المقوية مثل المرق واللبن . ولما كان المصابون بهذا المرض يشعرون بعطش شديد بسبب ارتفاع درجة الحمى فلا بأس ان يسقوا شرباً بارداً اذا ارادوا كالماء مثلاً او ماء الشعير

ويجب تذكر اليوم الذي بدأت القشعريرة فيه اذ السؤال عنه من اول المسائل التي يسألها الطبيب وذلك لان التحسن يبدأ غالباً في اليوم السابع من المرض . ويجب ايضاً ان تراقب التغيرات عند حدوثها ومعرفة ذلك سهلة على من تعودده فان المريض يشعر بنعاس ويعرق ويسهل تنفسه وتهبط درجة حرارته بفترة عدة درجات . فاذا تم ذلك يجب ان تنزع الملاءات المبللة ويوضع مكانها ملاءات نظيفة بعد تدفئتها بالنار وتنزع اللزقة عن صدر المريض اذا كان هناك لزقة ويفرك صدره وظهره بغطاة ناشفة مسخنة على النار ويوضع مكان اللزقة قطعة من الفلانلا الناشفة السخنة ويسقى ماءً حاراً وتخفف اغطيته ويترك لينام فلا تمضي ايام قلائل حتى يتمتع بالصحة بشرط ان يحافظ عليه محافظة تامة

والمرضات الخبيرات يرغبن في تمرير المصابين بهذا المرض لانهن يعلن ان الشفاء منه متوقف على شدة عنايتهن بهن وحذقهن في تريضهم . فاذا لم تحسن احوال المريض في اليوم السابع او التاسع او الحادي عشر من ابتداء المرض على الاكثر فذلك دليل على ان مرضه شديد وأنه يجب ان يضاعف الاعناء به ولكن لا يجوز لوم الطبيب على ذلك لان اشتداد المرض ينشأ اما عن جهل في التريض او عدم عناية به واما عن علة متأصلة في جسم المريض

وقبل الختام لا بد من ذكر شيء عن بصاق المريض اذ فحصة من اهم واجبات الطبيب فيجب ان يؤتى بفنجان فيه قليل من محلول الحامض الكربوليك ويصق المريض فيه ليرى الطبيب البصاق . وبعد ذلك يجب القاء ما في الفنجان بحيث لا يمس احد خشية العدوى وكذلك يجب اجتناب المناديل التي يستعملها المريض وعدم مسها . وفي درجات المرض الاولى يكون البصاق مشرباً بالدم دائماً

التهاب الشعب

قلنا ان ذات الرئة هو التهاب الرئتين وأنه يبتدىء بنوبة قشعريرة وحمة عالية جداً وان المريض يحسن بفترة . اما التهاب الشعب فعلى ضد ذلك فإنه التهاب شعب الرئتين وهو يبتدىء تدريجياً وينقضي كذلك والحمة فيه ترتفع وتهبط ببطء . ثم ان ذات الرئة مرض شديد الوطأة فاما ان ينتهي بالصحة او بالموت . واما التهاب الشعب فقد يصير مزمناً ويعيش المصاب به طويلاً هذا هو الفرق بين المرضين . واما طريقة التريض فيهما فواحدة في ما سوى ان الطبيب قد يصف في التهاب الشعب تشويق المريض البخار فيجب من ثم استحضار الادوات اللازمة لذلك كما تقدم وصفه في الكلام عن الدفتيريا ويجب ان ينقط في الماء المعدل للاغلاء

نقط من الدواء الذي يصفه الطبيب ويضاف بعضها كلما زيد الماء ولكن يجب ان يبقى الماء على النار دائماً حتى لا ينقطع التبخر البتة . ويفعل في بصاق المريض كما تقدم في الكلام على ذات الرئة واذا انحطت قوى المريض بذات الرئة او بالتهاب الشعب واخذ وجهه يزرق ولم يكن الطبيب حاضراً فيمكن اعطاؤه قليلاً من الكنيك او العرق ذات الجنب وهو التهاب البلورا

هو التهاب غشاء الرئتين الرقيق ويتبدى فجأة بقشعريرة وحى مرتفعة والم حاد مثل الشكة تحت الثدي وتنفس عسر سريع . فاذا صار التنفس شاقاً وتفتح النخران كان ذلك دليلاً على ان الرئتين مصابتان

وقد يتكوّن هناك سائل احياناً فيضطر الطبيب ان يعمل عملية جراحية بسيطة وهي انه يغرز ابرة مثقوبة فيجري السائل فيها الى الخارج ويستريح المريض حالاً . غير ان السائل يتحوّل احياناً الى صديد فيقتضي الامر عمل عملية اصعب قليلاً . فيفتح الطبيب فتحة ويضع فيها انبوبة لاستخراج الصديد . على انه يجب الاستعداد لهذه العملية وان تكن صغيرة في نفسها لان كمية الصديد تكون كثيرة فيجب احضار عدة آنية كبيرة ومقدار من الماء بعد ما يغلي ويوضع في اناء نظيف وفوط نظيفة وماء حار وصابون ودلو (جردل) للماء القذر ولفافة عرضها نحو نصف ذراع وطولها يكفي لان تلف حول الصدر مرتين . والغرض منها حفظ الضمادات في اماكنها . ويجب ان يوضع حول الانبوبة بعض القطن المضاد للفساد (قطن الكربوليك) وتغطى بالقطن ويحضر اناء من الحامض الكربوليك لتوضع الانبوبة فيه عند ما يخرجها الطبيب احياناً وتغسل جيداً وتنظف من الصديد داخلاً وخارجاً . ويجب ان تلف الضمادات بفوط نظيفة وتوضع في درج نظيف او علبه من الصفيح (التنك) كعلبة الكعك المعروف بالسكك مثلاً

السل

هو اشدّ امراض الرئتين هولاً وقد يصيب الانسان عن طريق العدوى او الوراثة . وهو اما حاد ينتهي بالموت واما مزمن يقاسي صاحبه الآلام مدى الحياة . ولقد طالما كتب مؤلفو الروايات عنه في رواياتهم وبحث العلماء فيه شفاهاً وكتابة وقضوا اعمارهم وانفقوا اموالهم وبذلوا قواهم كلها في اكتشاف دواء لهذا الداء العضال فلم يظفروا منه بطائل . وكل ما ثبت لهم الى الآن عنه ان الهواء النقي والوسائط الصحية خير العلاجات له ولكنها لا تضمن السلامة منه . وعليه بنيت المستشفيات الخاصة به وفتحت فيها منافذ وشبابيك وابواب كثيرة بلا مصاريع

ولا درفات تنفتح وتغلق طلباً لتجديد الهواء واطلاقه . ولوقاية المرضى من الريح والشمس والمطر بنيت قناطر حول الغرف التي يقيمون فيها

وعند ما ينامون يغطون جيداً ويلبسون قبعات تحفظ حرارة رؤوسهم ولكنهم يتنفسون الهواء النقي مهما كان بارداً . ومتى جاء وقت الطعام يحضر الطبيب على الدوام فيزن لكل مريض طعامه بحسب ما يلزمه منه . وعلى كل مريض ان يأكل كل ما يصفه الطبيب له . والمريضون يقيسون حرارة المرضى كل أربع ساعات او في الصباح والمساء على القليل تبعاً لأوامر الطبيب . والغالب ان الحمى ترتفع ليلاً وتعود فتصير طبيعية صباحاً فيشعر المريض بالراحة حينئذ . واذا بلغت درجة الحرارة ١٠٠ ميزان فارنهایت او ٣٨ ميزان سنتغراد أرسل المريض الى الفراش

ومذه المستشفيات خاصة بالمسولين . ولكن هناك كثيرين من المسولين لا يرون انفسهم مضطرين الى دخول تلك المستشفيات لخفة وطأة المرض فامثال هؤلاء يستطيعون معالجة انفسهم بالسكن في الخلاء والرياضة واكل الطعام المغذي والاعندال في المعيشة وتنظيم اوقات الطعام والرياضة والنوم واجتناب اعاب الدرس والعمل والهموم العائلية سواء كان المريض فتى او فتاة او تاجراً او ربة منزل . ثم ان السفر والصعود الى الاماكن العالية الجافة الهواء خير طرق المعالجة للذين يستطيعون الاتفاق على انفسهم . فان كل ما في هذه الدنيا فدى الصحة والحياة

والسل قد يكون اكتسائياً ولكنه وراثي بلا خلاف ومعد في بعض الاحوال ولكن ليس الى الحد الذي يتصوره الناس فقد روي عن رجل ان زوجته اصببت بالسل ولزمت الفراش فكان يكلمها وهو واقف في الباب ومنديل على فيه وانه

فمكروبات السل وراثت الناس اشبه بالبذور التي تسقط على التربة الصالحة او الارض الصخرية فان رثات بعض الناس صخرية لا تقبل العدوى ورثات البعض الاخر نحيمة تقبلها وتعريضها للبرد واهمال امرها بعد الاصابة بذات الرئة او غيره من الامراض الرئوية يفضيان الى السل . وقد ثبت من الجهة الاخرى ان الممرضات القويات البنية الجيدات الصحة اللواتي مريضن المسولين سنين طويلة لم يصبن قط بالسل . على ان اهم ما يجب معرفته حتى في الامراض المعدية ماهية الاحتياطات التي يجب اتخاذها في كل مرض وكيفيةها . ففي السل لا يجوز النوم في فراش المسولين ولا لبس ملابسهم ولا استعمال مناديلهم . بل يجب ان تغسل ملابسهم على حدة ولا يسمح لهم بالبصاق الا في علب مخصوصة فيها محلول الحامض

الكربوليك او السلياني او الرمل . واذا مات المسلول فلا بأس من استعمال فراشه ودثاره بعد غسلهما بمضادات الفساد القوية . ويجب تبييض غرفته وطلاء ما فيها من الاثاث الخشبي بالفرنيس . اما الملابس التي لا يمكن غسلها وغلبها فالاحسن ان تعطى للفقراء المصابين بالمرض نفسه وخصوصاً الفلانلا فانها اعظم ما يحتاجون اليه في السل ولكنهم لا يستطيعون شراءها لارتفاع ثمنها . ويجب على جميع المسلولين ان يلبسوا الفلانلا مباشرة لابدانهم حفظاً للحرارة ومنعاً للبرد بعد العرق الذي ينتابهم عند زوال الحمى مساءً

بالتنقيظ والإيضاح

نهاية الاحكام في بيان ما للنية من الاحكام

لحضره الحبيب النسيب السيد احمد بك الحسيني آثار علمية جمعها في ساعات الفراغ ولم يسمح ان تبقى في بطون دفاتره فهو يطبعها ويخفف بها القراء مجاناً ومن هذه الآثار العلمية الدالة على فرط اجتهاده كتاب جمعه في بيان ما للنية من الاحكام . اورد فيه اقوال العلماء في حقيقة النية والمقارنة والاستحضار المطلوبين في نية الصلاة وسائر ابواب العبادات . وكلامه في هذه الابواب يدل على انه طالع مئات من كتب الفقه وجمع ما فيها مما يتعلق بهذا الموضوع . والحق ذلك بفوائد في تحقيق مقدار المد والصاع والدرهم وقد حقق ان اختلاف الائمة في وزن المد ناشئ عن انهم لم يراعوا نوع المكيل فيه اي لم يراعوا النقل النوعي ولذلك فالاختلاف بينهم لفظي فاذا قيل ان المد ثمانية ارطال بالعراقي فذلك من الماء واذا قيل خمسة ارطال وثلاثا رطل فذلك من الشعير . وقال في خاتمة هذا البحث ان المد من الشعير والتمر $\frac{2}{3}$ ١٧٣ درهم ومن الذرة الدقيقة $\frac{2}{3}$ ١٩٥ درهم ومن الذرة الشامية $\frac{2}{3}$ ٢٠٢ ومن القمح والحصص ٢١٦ درهماً ومن الفول والحلبة ٢٢٤ درهماً ومن العدس ٢٢٧ درهماً ومن الماء العذب الصافي ٢٦٠ درهماً . والقدح المصري يبلغ مدين الاثنى مد

هذا ويسمح لنا حضرة المحامي الفاضل ان نقول كلمة كانت تردّد على لساننا كلما نظرنا في صفحة من كتابه وهي ما اثنى الفرص التي اضاعها اولئك الكتّاب الذين استشهد بهم في ما لم تستفد الامة الاسلامية منه فائدة تذكر . فان الانكليزي اذا افتخر قال اننا نحن معاشر الانكليز ندخل بلاداً فنجعلها تنبت عشرين سنبله من سنابل الحنطة حيث كانت تنبت عشر

سنابل اما علماؤنا الاعلام فاعطاهم الله الجدل ومنعهم العمل دخلوا مصر والشام والعراق وهي مهد العمران وفيها زهاء اربعين مليوناً من السكان فبارت أكثر سهولها وليس فيها الآن ثلث سكانها الاولين . ويصعب علينا ان نعين كم من هذا الانحطاط ينسب الى اغفال اولئك العلماء مصالح دنياهم وكم منه ينسب الى فساد الاحكام وتسوّد الظلام ولكن ان كنا نجد تسعة اعشار اعياننا فقهاء وشعراء كما يظهر لمن يطالع وفيات الاعيان ولا نجد عالماً واحداً يهتم بانقان الزراعة او الصناعة او تسهيل طرق التجارة فلا نحطى اذا نسبنا الى تهاونهم في امر الدنيا كثيراً من الانحطاط الذي اصاب هذه البلاد

وهذا الاستطراد لا يحيط من شأن عمل المؤلف لانه انما جمع هذا الكتاب وامثاله في ساعات الفراغ ولم ينقطع للاشتغال به بل ان اشتغاله الاهم بعمل شريف نافع مداره حفظ الحقوق لاصحابها ولم يقصر كتابه على تحقيق مسألة فقهية نظرية بل اضاف اليه تحقيق مسائل اخرى علمية عملية

وحبذا لو شغل امثاله كل اوقات الفراغ بما يزيد قوة الامة عقلياً وجسدياً وادبياً ومادياً

القصائد الهاشميات

اذا كانت هذه القصائد اصلية وقد وصلت اليها كما هي من غير تغيير ولا تبديل فالشعر العربي في القرن الاول بعد الهجرة مثل الشعر في هذا العصر وقد نسج الشعراء على منوال واحد مع اختلاف الازمنة والامكنة والمؤثرات

والهاشميات للكهيت بن زيد الكوفي المتوفى سنة ست وعشرين ومئة مدح بها بني هاشم فنسبت اليهم وهي ميمية ولامية وعينية واربع بائيات وكلها من فحل الشعر وبلغه . وقد روى بعضهم ان الكهيت اتى الفرزدق فقال له يا ابا فراس انك شيخ مضر وشاعرها وانا ابن اخيك الكهيت بن زيد الاسدي قلت شعراً فاحببت ان اعرضه عليك فان كان حسناً امرتني باذاعه وان كان قبيحاً امرتني بستره فقال له الفرزدق اما عقلك فحسن واني لارجو ان يكون شعرك على قدر عقلك فانشدني ما قلت فانشده بائيته التي مطلعها طربت وما شوقاً الى البيض اطرب فقال له الفرزدق اذع ثم اذع فانت اشعر من مضى ومن بقي

وقد اعنى بتصحيح هذه القصائد وضبطها بالشكل وبيان معانيها ورواياتها حضرة محمد افندي شاكّر الخياط النابلسي الازهري بعد ان تلقاها عن العلامة اللغوي المشهور الشيخ محمد محمود الشنقيطي

الصحراء الشرقية

تخطيطها وجيولوجيتها

Topography and Geology of the Eastern Desert of Egypt,
by T. Barron A.R.C.S., F.G.S. and W. F. Hume D. Sc., A.R.S.M., F.G.S.

كنا بالأمس نشكو من ان المحتلين لهذا القطر قصروا اهتمامهم على اصلاح مآلته وريه ولم يعنوا بالمباحث العلمية كما عني الفرنسيون لما احتلوه في زمن بوناپرت . لكن هذه الشكوى قد زالت الآن او كادت بهمة جناب الكبتن ليونس ورجال قسم المساحة الذين معه فان مباحثهم العلمية متواصلة وكتبهم متوالية وامامنا الآن كتابان نفيسان منها اكبرها هذا الكتاب عن القسم الاوسط من الصحراء التي شرقي القطر المصري وهو كتاب ضخيم فيه ٣٣٠ صفحة وكثير من الصور والخرائط . وقولنا الصور والخرائط لا يؤدي المعنى المراد الى ذهن القارئ فان الصور التي في هذا الكتاب مطبوعة في المانيا طبعا بالغا حد الانقان حتى تظنها صوراً فوتوغرافية مصنوعة بالبلاطين وقد تزيد على الصور الفوتوغرافية وضوحاً ورونقاً . والخرائط مطبوعة في مطابع ادارة المساحة الجيولوجية وفي بعضها اربعة عشر لوناً مختلفة واتصال الالوان بعضها بعض على غاية الدقة والاحكام حتى اننا لم نر شيئاً يفوقها في كل ما وقفنا عليه من مطبوعات الحكومات الاوربية

والكتاب قسمان في الاول منهما وصف البلاد الطبوغرافي وما فيها من الجبال والوهاد والسهول والادوية والآثار القديمة ويتلو ذلك كثير من الفوائد التاريخية ووصف ما في البلاد من النباتات والحيوانات وما يحدث فيها من الآثار الجوية كالحر والبرد والضباب والرياح والعواصف وفي هذا القسم كلام مسهب عن جيولوجية البلاد وما فيها من المعادن والمواد المعدنية والحجارة الثمينة . ويظهر منه ان كل ما قيل حتى الآن عن وجود معادن غنية من الذهب والفضة والرصاص غير قرين الصحة وانما يوجد انواع من المرمر الثمين ولاسيما البرفير السلطاني ولكن لا سبيل للكسب من استخراج الان لغلاء اجرة العمل والنقل اما في الازمة الغابرة فكان يُستخرج لان ملوك مصر كانوا يسخرون الاسرى في استخراج ونقله . ويظهر لنا ان مطالعة هذا التقرير تفي الناس من اتفاق الاموال على غير طائل للحصول على ما لا يأتي بنائل من المعادن ونحوها . ولو وقفت عليه شركة الزيت ما انفتحت اموالها على استخراجها من جبل الزيت ولا اهتم غيرها باستخراج الفحم الحجري ولا غيرها باكتشاف معادن غنية من الذهب بين قنا والقصر . وحبذا لو نشر بالعربية ايضاً مترجماً او مختصاً

تقرير الاحداث الجوية

A Report of the Meteorological Observations.

هو تقرير مسهب عن رصد الاحداث الجوية في مرصد العباسية سنة ١٩٠٠ ولا ندري ما السبب لتأخير نشره الى الآن

ويظهر منه ان عرض مرصد العباسية ٣٠° ٤٣' ٨٣" وكان يجب قبلاً ان عرضه ٣٠° ٤٤' ٤٠". وان متوسط الحرارة في العباسية عن خمس سنوات من سنة ١٨٩٤ الى سنة ١٨٩٨ كان ٢٠ درجة و ٥٨ في المئة اقلها في يناير اذ كان المتوسط ١٢ درجة و ٣ في المئة . واكثرها في يوليو اذ كان المتوسط ٢٧ درجة و ٨٢ في المئة

وان الحرارة هبطت سنة ١٩٠٠ الى الدرجة ٣ وعشرين في الساعة السادسة صباحاً من اليوم الرابع عشر من شهر يناير وارتفعت الى الدرجة ٤٠ وثمانية اعشار في الساعة الاولى بعد الظهر من اليوم الثاني عشر من شهر مايو وهذا الحد معظم ما بلغته في العباسية تلك السنة ووقع تلك السنة ٥٢ ميليمتراً من المطر وفي شهر فبراير ٢٨ ميليمتراً و ٤٥ في المئة ووقع في يوم واحد منه وهو الخامس والعشرون نحو ٢٥ ميليمتراً ووقع في يوم من ديسمبر أكثر من ثمانية ميليمترات وفي الذي قبله سبعة ميليمترات

وفي هذا التقرير خلاصة رصد الاحداث الجوية في الاسكندرية وبورت سعيد واسيوط وام درمان . وكان اقل متوسط للحرارة في الاسكندرية في السنوات العشر من سنة ١٨٩١ الى سنة ١٩٠٠ في شهر يناير وهو ١٤ درجة وعشر واكثر متوسط في شهر اغسطس وهو ٢٦ درجة وستة اعشار والمتوسط العام ٢٠ درجة و ٦ اعشار . واقل ما وصلت اليه الحرارة في الاسكندرية ٥ درجات وخمسة اعشار واعلى ما بلغت اليه اربعون درجة

وكانت اقل السنين مطراً سنة ١٨٩١ فبلغ ما وقع من المطر فيها ١٠٨ ميليمترات وعشرين واكثرها مطراً سنة ١٨٩٨ فبلغ ما وقع من المطر فيها ٣٠٧ ميليمترات و ٩٣ في المئة واكثر الشهور مطراً شهر ديسمبر يتلوه شهر يناير

وفي التقرير رصد اخرى عن الرطوبة وثقل الهواء وحركات الرياح وارتفاع الارض ومغنطيسيتها ونحو ذلك ثمّ له آلات دقيقة في مرصد العباسية وبعضها قديم وبعضها حديث او مجدد وقد بلغ بها هذا المرصد درجة عالية بين المراصد الكبيرة

الري في وادي البو

Irrigation in the Valley of the River Po, by Ismail Sirry Bey.

لوقام عشرة من ابناء هذا القطر كل سنة وقضوا شهراً في البحث عما فيه فائدة عمومية كما فعل واضع هذا التقرير حضرة المهندس الشهير اسمعيل بك سري لبلغ القطر اعلى درجات الارتفاع

وقد كنا ونحن نطالع مقدمة تقريره نتصوره يصل الليل بالنهار وهو يجول من مكان الى آخر في بلاد ايطاليا يبحث عن اساليب الري المتبعة فيها ويكتب ما يراه ويسمعه ويشغل المهندسين والرسمين بمساعدته حتى جمع ما ملا كتاباً كبيراً من المباحث العويصة والرسوم الدقيقة في اقل من شهر من الزمان. ولا بد من ان تظهر نتيجة بحثه ودرسه في اعمال الري العظيمة التي يعملها الآن في المديرية المتوسطة لان مهندسي ايطاليا الذين لقيهم ورأى اعمالهم من اشهر المهندسين في اعمال الري

ومن الفوائد التي نثرها عن تقريره انه يمكن عمل الكباري الصغيرة التي يبلغ طول الكبري منها ثمانية امتار وعرضه ثلاثة من السمنت والخرسانة في ثماني ساعات ولا تزيد نفقة الكبري منها على اربعين جنياً

ومنها ان تكسية الحجر تغني عن الرؤوس في وقاية الجسور عند منعطفات الانهر ومنها سهولة استخدام القوة المائية لتوليد الكهرباء فانه رأى في مكان عشرة تربينات ارتفاع الماء النازل فيها ٢٨ متراً وايراده ٥٠ متراً مكعباً في الثانية وتحصل من انحداره قوة تساوي ١٤٠٠٠ حصان . ورأى في مكان آخر ثمانية تربينات ينزل فيها الماء على ٢٨ متراً وهو ٤٥ متراً مكعباً في الثانية فتولد منها قوة تساوي ١٢٠٠٠ حصان يستعمل عشرة آلاف حصان منها لاناارة مدينة ميلان بالكهربائية ولتسيير ما فيها من مركبات الترامواي ولبعض معاملها . ومن رأيه انه يجب ابدال الآلات المائية المستعملة الآن في اليوم بالآلات مائية متقنة مثل المستعملة في ايطاليا

وقد لقي حضرة مهندسنا الفاضل مزيد الحفاوة والاكرام من وزراء ايطاليا ومهندسيها . ولا بد من ان يكونوا قد اعجبوا بعلمه وسعة اخباره وتدقيقه في المباحث الهندسية كما اعجب هو بمهارتهم وتسارعهم الى اكرامه

وفي التقرير ١٨ من الرسوم والخرائط الكبيرة عدا الصور الصغيرة وهو مكتوب باللغة الانكليزية وحذا لو نُشر بالعربية ايضاً

جامع بيان العلم وفضله

تأليف الامام المجتهد حافظ المغرب ابي عمر يوسف ابن عبد البر النمري القرطبي الاندلسي المتوفى سنة ٤٦٣ هجرية وقد اختصره وطبعه حضرة احمد بن عمر المحمدي البيروني الازهري وجعل ثمنه خمسة غروش فقط تسهيلاً لاقتنائه. والكتاب نفيس فيه ابواب شتى معززة بالآيات والاحاديث واقوال الائمة والشعراء ولا ندري كيف كان القدماء يستطيعون جمع هذه الكتب مع قلة وسائل الاهتداء الى ما يطلبون من الفهارس ونحوها فتجد في بعض فصول هذا الكتاب مئات من الآيات والاحاديث والاقوال الماثورة والاشعار التي يستشهد بها في كل باب من ذلك قول محمود الوراق

الفقر في النفس وفيها الغنى وفي غنى النفس الغنى الاكبر
من كان ذا مال كثير ولم يقنع فذاك الموسر المعسر
وكل من كان قنوعاً وان كان مقلاً فهو المكثراً
وقول ابي فراس الحمداني

غنى النفس لمن يعقل خير من غنى المال
وفضل الناس في الالة ليس الفضل بالمال
وقول خلف الاحمر

خير ما ورث الرجال بنعيمه ادب صالح وحسن ثناء
هو خير من الدنانير والاوراق في يوم شدة ورخاء
وقول ابي العتاهية

وانما العلم من عيان ومن سماع ومن قياس
وقوله

واعظم الاثم بعد الشرك لعلمه في كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها منهم ولا تبصر العيب الذي فيها
وقد عني حضرة ناشرو ضبط الفاظه الغربية وايضاها مع ترجمة كثيرين من الاعلام المذكورين فيه اتماماً للفائدة فاجاد وافاد

تراجم مشاهير الشرق

لرصفنا العالم المحقق جرجي افندي زيدان فضل كبير على ابناء العربية بما يشهه في

هلاله وبما ينشره من الكتب في كل المواضيع العلمية والتاريخية والأدبية . وقد اتحفنا الآن بالجزء الثاني من تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر وفيه تراجم كثيرين من الذين لا يختلف اثنان في شهرتهم وفي انهم افادوا ابناء العربية كالشيخ ناصيف اليازجي ورفاعه بك الطمطاوي والمعلم بطرس البستاني وعلي باشا مبارك والدكتور كرنيليوس فان ديك . وتراجم غيرهم من الذين لا نعلم انهم افادوا البلاد فائدة كبيرة حتى يذكروا بها او لا نرى شهرتهم في شيء نافع . لكن مقياس الشهرة غير محدود فلا ندعي ان مقياسنا لها اصح من كل مقياس غيره . وقد اجاد حضرة المؤلف بذكر بعض النابغين من الهنود والأتراك كالسيد احمد خان الهندي ومحمد نامق كمال بك التركي . واحسن في اقتصاره على ذكر المتوفين وفي نشره بعض ما جادت به اقلامهم . وجبذا لو اطلال في هذا الباب لان الفائدة من آثار المرء كالفائدة من ذكر اوصافه

والكتاب ٢٤٤ صفحة بقطع كبير وثمنه اربعة فرنكات وهو يطلب من مكتبة الهلال في مصر

ديوان الرافعي

مصطفى افندي الرافعي شاعر مطبوع فتح له الشعر ديوانه فغنى من رياض ثمار الجنان وعرض عليه درر بحوره فنظم من فرادها قلائد العقيان . ترى قريحته الوقادة في باب الوصف والنسيب وبعض المقاطيع كقوله في الخيام والقصور

قصور تدلُّ بأيامها دلال الرياض بأذارها

وقد ساحتها خطوط الزمان وضئت عليها باكدارها

ودارت بمعصمها كالسوار رياض تسامت باسوارها

تحاكي المجرة انهارها وتحاكي النجوم بازهارها

وقوله في القمر

زهته الملاحه حتى سفر وخلى الدلال لذات الخفر

وبات يسامر اهل الهوى وقد طاب للعاشقين السمر

يحدثنا عن بني عذرة ويروي لنا عن جميل خبر

وابلغ من ذلك وصفه لحريق ميت غمر . ومن مستحسن شعره ما نظم في صدد اعلان

نشرته غانية يابانية حيث قال

فما العز في حجرات الكعاب ولا في الرياض وريحانها

ولا في الشعور كوج السحاب اذا ما تراخت على بانها
ولا في الحواجب مثل الهلال ولا في العيون واجفانها
ولا في جمال زهور الرياض اذا اختلن في ثوب نيسانها
وما قاله في خمول البعض من قومه
وقد اراني في قوم اولي كسل كأنما انتفضوا من تحت ارماس
فبعضهم بين اخفاف الموان هوى وبعضهم ضل بين الكاس والطاس
وقوله

الشرق سوق الغرب لكنها لا يشتري منها سوى البائر
باع بنوها بعضهم بعضهم فالويل للرايح والخاسر
وقد شرح هذا الديوان حضرة الاديب محمد افندي كامل الرافعي اخي الناظم

الفضيلة

مجلة ادبية عمومية تصدر في اول كل شهر لحضرة منشئها الاديب سليم افندي العضم
فيها قسمان الاول المقالات الادبية المفيدة والقصائد العصرية الشائقة والثاني تاريخ حوادث
الشهر الداخلية والخارجية . وفي الجزء الاول الذي صدر منها قصيدة في مدح صاحب
السعادة ادريس بك راغب واخرى في مدح صاحب السباحة السيد ابي الهدى الصيادي
ومقالة في الجمعيات ومقالة في الجرائد والمجلات وتاريخ حوادث فبراير ومارس . وقيمة الاشتراك
فيها اربعون غرشاً فنتنى لها النجاح

البلهارسيا والنواصير البولية

خطبة لحضرة الفاضل الدكتور علي لبيب القاها في المؤتمر الطبي المصري بين فيها ان
النواصير البولية مسببة في الغالب عن مرض البلهارسيا الكثير الانتشار في القطر المصري وقال
انه وصل الى هذه النتيجة بعد بحث اربع عشرة سنة . وقد شرح مرض البلهارسيا شرحاً مسهباً
وبيّن سبب انتشاره في الوجه البحري وقال ان الذين يصابون به وينتقلون من حيث تكثر
ديدانه الى حيث لا توجد زالت منهم من نفسها كبعض الشبان الذين كانوا مصابين بها ثم
مضوا الى اوربا لاتمام دروسهم فانها زالت منهم من غير علاج . والخطبة مسهبة وفيها
فوائد جمّة

بَابُ الْمَسْئَلَةِ

نحن هذا الباب منذ أول انشاء المقتطف ووعده أن نجيب فيه مسائل المستعجلين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) أن يمضي مسألة باسمه والقاب ويحل اقامته امضاه واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل النصيح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر لنا ويعين حروفاً تخرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله اليها فليكم به مسألة فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهلناه لسبب كاف

(١) زمن آدم

مصر. الخواجه ميخائيل بساراني. قرأت في احدى المجلات المصرية ان وكيل كلية كمبردج قفى ١٥ سنة في البحث عن تاريخ مولد آدم ابي البشر واخيراً قال انه ولد في ٢٣ أكتوبر سنة ٤٠٠٤ قبل المسيح. وايضاً كنا نطالع في مقتطفكم الصادر في الشهر الحالي عن عمران العراق وشرائع همورابي فذكرتم ان مدينة اريدو كانت مرفأً للمملكة الكلدانية قبل المسيح بستة آلاف وثمانماية واربع وستين سنة فكيف توفقون بين قولكم هذا وقول وكيل كلية كمبردج

ج لا نقدر ان نوفق بين القولين. وغاية ما يقال ان العلماء الذين يؤخذ بقولهم في هذه المواضع يقولون ان الانسان وُجد على وجه هذه البسيطة منذ الوف كثيرة من السنين. ومعلوم ان صور الامرى المنقوشة على الآثار المصرية منذ نحو خمسة آلاف سنة او أكثر تدل دلالة واضحة على ان الفروق التي نراها الآن بين الزنوج والمصريين واهالي

البلدان الشمالية كانت حينئذ كما هي الآن تماماً وهذه الفروق لا تتكون في الامم اذا كانوا من اصل واحد الا اذا مرت عليهم قرون كثيرة. ومعلوم ايضاً ان العمران المصري قديم جداً وبعض المباني التي لم تزل قائمة الى الآن كاهرام الجيزة بني قبل المسيح باربعة آلاف سنة او أكثر وذلك العمران لم يبلغ ما بلغه حينئذ الا في مئات او الوف من السنين اذا فرضنا ان نواميس العمران جارية على سنن واحد. وقد وجدت عظام من عظام الناس وآثار من آثارهم في امكنة رسبت فيها رواسب الانهر واخطلط بها عظام حيوانات انقرضت في زمن العصر الجليدي الذي عم البلدان الشمالية منذ اكثر من عشرة آلاف سنة كما يستدل من بعض الأدلة الفلكية والجيولوجية فلا مهرب من القول بان اصحاب تلك العظام وتلك الآثار عاشوا وماتوا منذ أكثر من عشرة آلاف سنة. وهذه الأدلة وامثالها اقنعت جمهور العلماء الذين اطلعنا على كتبهم بان الانسان وُجد على وجه البسيطة منذ الوف كثيرة من السنين

(٢) قدم العالم

ومنه . نوَّكد ان حضرتكم لا تعتقدون انه وجد آدم واحد الذي يقال انه ابو البشر بل وجد اوادم كثيرون حيث تقولون ان عمر الارض يبلغ ملايين من السنين فلماذا لا يوجد كتب تدل على ان العالم مخلوق من مدة هذه الملايين حتى يؤمن الجميع بما تقولون

ج من اين عرفتم اننا لا نعتقد بوجود آدم واحد فاننا لم نقل هذا القول ولا كتبناه كأنه معتقدنا . وقولنا ان عمر الارض يبلغ ملايين من السنين لا ينتج انه وجد أكثر من آدم واحد . اما سوءالكم عن وجود كتب تدل على ان عمر الارض ملايين من السنين فالجواب ان كل كتب الجيولوجيا والبلينولوجيا تدل على ذلك حتى ان التوراة وهي اقدم الكتب الدينية تقول " في البدء خلق الله السموات والارض " ولم تحدد زمن هذا البدء فيحتمل ان يكون منذ ملايين كثيرة من السنين وقد اتفق الشراح الذين اطلعنا على تفاسيرهم على ان المراد بالبدء هنا زمن قديم جداً او هو اول الزمن اذ لم يكن كائن الا الله . فالزمن الذي خلقت فيه الارض قديم جداً حسب نص التوراة وفهم العلماء لها

(٣) زوال التباعد

ومنه . هل يزول التباعد يوماً ما عن وجه الارض او يبقى مكتوماً في صدور الامم

ج ان مصير الناس اخيراً الى نزع الرذائل وتمكن الفضائل جريباً على الناموس العام وهو ناموس بقاء الاصلح ولذلك ينتظر ان يزول التباعد ايضاً اما الزمن الذي يزول فيه فبعيد جداً اذا بقي ارتفاع الناس في الفضائل سائراً سيراً بطيئاً كما هو الآن

(٤) احوال السودان

طنطا . حبيب افندي فهمي . كم انفقت انكثراً حتى الآن على بلاد السودان وما هو الرأي في مستقبل السودان وهل يمكن ان يتجاوز عدد النزلاء الاجانب فيه عددهم في مصر

ج انفقت على الحملة التي قصدت بها تخليص غوردون باشا نحو ثلاثة عشر مليوناً من الجنديات وانفقت على جيشها الذي عاون الجيش المصري في استرجاع السودان ولا تزال تنفق على الحامية التي هناك وردت الى الحكومة المصرية الخمس مئة الف جنيه التي اخذتها الحكومة من صندوق الدين . ويظهر لنا ان مستقبل السودان حسن جداً فيستتب فيه الامن والعدل ونقوى الزراعة والتجارة بكل الوسائل الممكنة وهذا يدعو الى ازدياد النزلاء فيه ولكن يبقى حره مانعاً من استيطانهم له هم وابناؤهم فيذهب اليه أكثرهم للارتزاق ثم يعودون منه ولا يقيم فيه الا قليلاً منهم ولكن لا يبعد ان تبتسر طرق

(٨) البرغش

ومنه . وماذا يزيل البرغش

ج منع ركود الماء في اناء في البيت
او خارجاً عنه وتجنيف كل المستنقعات
الصغيرة القريبة من السكن وتربية السمك في
البرك الكبيرة فان البرغش بيض ويتولد في
الماء الراكد ولكن اذا كان في الماء سمك اكل
بيض البرغش

(٩) تحريك الاطراف

مصر . مصطفى افندي رشيد . المشاهد
ان اغلب الناس في السير الاعتيادي يحرك
الطرف العلوي الايمن مع الطرف السفلي
الايسر والعكس بالعكس فما سبب ذلك
ج المشاهد غير ذلك بل يحرك يده
اليمنى مع رجله اليمنى ويده اليسرى مع رجله
اليسرى وسببه واضح وهو اشتراك اعصاب
كل شق بعضها مع بعض

(١٠) مراكز قوى العقل

كفر الزيات . ناشد افندي فريد .
كيف استدلل علماء التشريح على مواضع
التصور والذاكرة والحافظة في الدماغ واذا كان
لكل منها محل مخصوص فهل هي محدودة
واذا كانت محدودة فهل العقل ايضاً محدود
ج انهم استدللوا على مراكز بعض القوى
بالبحث والاستقراء فتبعوا مثلاً سير الاعصاب
المتددة من العين الى مراكز محدودة في الدماغ

السفر جداً بعد اذ تستنبط وسائل جديدة
لتخفيف وطأة الحر فتزول الموانع التي تمنع النزلاء
الآن من استيطان تلك البلاد

(٥) منشأ زى النساء

ومنه . ما هي اول مملكة نشأ فيهما زى
النساء الاوربي الحالي وهل كان منذ بدئه
يشبه الزى الحالي

ج المشهور في اوربا ان ازياء النساء
تبتدى في باريس ومنها تنقل الى غيرها
من المدن . واننا لنستغرب سوء الكم هل كان
الزى منذ بدئه يشبه الزى الحالي وانتم ترون
الازياء لتغير تغيراً تاماً كل سنة او كل
بضع سنوات

(٦) ولاية العهد في تركيا

البرازيل . الخواجه الياس مارون . لمن
ولاية العهد في تركيا
ج للارشد من العائلة السلطانية

(٧) النمل

ومنه . ماذا يزيل النمل اذا كان كثيراً
في البيت

ج ان تبل اسفنجة بقليل من سائل
حلو الطعم وتوضع حيث يجتمع النمل عليها ثم
توضع في الماء السفن حتى يموت النمل منها
ويكرر ذلك مراراً ما دام النمل كثيراً . ونحن
نضع ما نخشى عليه من النمل في خزانة كبيرة
تحت قوائم الاربع اربع صحاف فيها رمد
ومسحوق سام يكرهه النمل فلا يصل اليها

(١٢) اصل الانواع

ومنهُ . يقول دارون ان مرجع الانسان والحيوان الى خمسة اصول ومرجع النبات الى سبعة فهل ظهرت او ينتظر ان تظهر خلقة جديدة في العالم صادرة عن اصول الانسان والحيوان والنبات

ج امين رأيت ان دارون يقول بان للحيوانات خمسة اصول وللنباتات سبعة اصول فاننا لا نتذكر اننا قرأنا له قولاً مثل هذا لكنه قال ان البحث والاستقراء يدلانه على ان الموجودات الحية اصلاً واحداً او اصولاً قليلة . وكرر هذا القول مراراً وهاكم ترجمة عبارته الاخيرة في كتابه اصل الانواع " اذا نظرنا الى الحياة من هذا القبيل رأينا فيها مجالي العظمة رأينا ان الخالق بثها اصلاً في شكل واحد او اشكال قليلة فتولدت منها اشكال لا تحصى تفوق الوصف جمالاً وتدهش العقول بناءً حدث ذلك والارض دائرة في مدارها حسب ناموس الجاذبية المقرر . ونظن انكم تريدون بالقسم الثاني من سؤالكم هل ينتظر ان تتولد انواع جديدة من الانواع الموجودة الان والجواب على ذلك ان هذا الامر محتمل ومن الناس من يقول ان ميكروبات بعض الامراض التي لم تكن معروفة قبلاً كالكوليرا هي انواع جديدة تولدت من غيرها . ومعلوم ان ميكروبات الامراض نفسها تربى الآن على اساليب مخصوصة فتتغير طبائعها وتفقد كثيراً

ثم وجدوا انهم اذا نزعوا تلك المراكز بطل الابصار . وتنبعوا الاعصاب الممتدة من اللسان الى مراكز اخرى في الدماغ ووجدوا انه اذا ايفت تلك المراكز بطل النطق او اخنل وهلمّ جرّاً فاستبدلوا بمثل ذلك على مراكز بعض القوى . والظاهر ان هذه المراكز محدودة في نصفي الدماغ . ثم ان مراكز القوى العقلية محصورة في الدماغ فلا يفتكر الانسان بيده ولا بجمده واذا ازيلت مراكز العقل من الدماغ او اصابها مرض او قلت تغذيتها بطلت الافعال العقلية او ضعفت جداً وكذلك اذا فعل بالدماغ مخدر وفخدره كالمسكر والبنج لم يعد الانسان يعقل وهو تحت سلطة ذلك المخدر

(١١) مشابهة الولد للوالديه

ومنهُ . لماذا يشبه الولد والديه في الخلقة والاخلاق والميل الى الامراض

ج لان كل جزء من اجزاء بدنه مكون اصلاً من جسمي والديه فكأنه قضيب كرمه قطع وزرع في الارض فينبت ويحمل ورقاً وعنباً مثل الكرمة التي قطع منها

(١٢) ولادة التوائم

ومنهُ . كيف تعالون ولادة المرأة لطفلين معاً

ج يعلل ذلك بان يبيضتين لتلقحان معاً في وقت واحد او في وقتين قريبين فتتميان معاً الى ان تصيرا جنينين

من خواصها حتى ان ما كان منها مميتاً لا يعود
مميّناً بل يصير ينجي الجسم من الموت كما ترون
في الجدري فإنه اذا ربي في جسم البقر ضعف
فعله وصار ينجي الانسان من خطر الجدري
البشري

اما الحيوانات والنباتات الكبيرة فلا
ينتظر ان يتولد نوع جديد منها الا في الوف
كثيرة من السنين ولكن يسهل تغيير النوع
الواحد في مئات او الوف من السنين حتى يبعد
عن اصله كثيراً كما ترون في كثير من
الحيوانات والنباتات الاهلية والبرية فالورد
الاحمر او الاصفر الذي في الزهرة منه مئات
من الاوراق وقطرها عشرة سنتمرات او اكثر
بعدت عن الورد البري المعروف بالنسرين
الذي في الزهرة منه خمس اوراق فقط بعداً
شاسعاً. ولولا وجود الحلقات المتوسطة بين الورد
الاول والورد الثاني لعدنا نوعين مختلفين مع
ان الواحد متولد من الآخر

(١٤) اولاد السود والبيض

الاسكندرية . حسين افندي رسمي .
لماذا يولد اولاد السود سوداً واولاد البيض
يضاً مع ان البيضة التي يتكون منها الجنين
بيضاء في السود والبيض على حد سواء
ج ان هذه البيضة على صغرها وبساطة
تركيبها وكون لونها الظاهر ابيض ضارب الى
الصفرة تحتوي جراثيم كثيرة من والدين

واسلافهما الى اجيال كثيرة ولذلك يظهر في
الطفل كثير من مزايا اسلافه الجسدية
والعقلية لانه يكون فيها اصول او جراثيم من
الشعر والاظافر والاسنان والاذنين والعينين
والعظام والعضلات والرئتين والقلب والكبد
والطحال والكليتين وكل اعضاء الجسم
الظاهرة والباطنة . ولا بد من ان يكون فيها
ايضاً جراثيم من الجلد والمواد التي تلونه باللون
الايض او الاسمر او الاسود حتى اذا كان
ابوه وامه اسودين جاء اسود مثلهما واذا
كانا ابيضين جاء ابيض واذا كان احدهما
ايض والاخر اسود فاذا تغلبت المادة المكونة
للون الجلد الآتية من احدهما كان لون الطفل
مثله واذا تساوت قوة كان لونه بين بين

(١٥) فقد السمع

صدفا . احد المشتركين . لي صديق
أصيب بالحمى منذ ثلاث سنوات وبعد شفائه
من المرض شعر بطنين في اذنيه بغير الم ثم
احد سمعه ينقص شيئاً فشيئاً حتى صار الان
نصف ما كان اولاً ولا يزال الطنين موجوداً
فهل يحتمل ان يفقد سمعه تماماً
ج نعم ونشير عليه ان يري نفسه
لطبيب من اطباء الاذن قبلما يتسع الخرق
على الراقع . اما ما اصاب صديقكم الاول
فلا يقطع النسل

بَابُ الْحَبَابِ الْعِلْمِيَّةِ

الراديوم

اهم ما نتذكر فيه الدوائر العلمية الآن الراديوم العنصر الذي نتولد منه الحرارة ويصدر النور وهو باق على حاله . واهتمامهم بالبحث عنه ليس لانهم يرجون منه ان ينير ظلمة المستقبل او يزيل برد الشتاء بل لانهم رأوا فيه امرأ غريباً غير مألوف وهم يودون تعليله ورده الى النواميس الطبيعية المعروفة او اكتشاف الناموس المجهول الذي يجري عليه . اما استخدامه كمصدر للنور والحرارة فمما لا مطمع به لانه اندر العناصر المعروفة واغلاها . وقد مضى على المسيو كوري وزوجته ثلاث سنوات يهتمان باستحضار مركباته فلم يستحضرا مئة وخمسين درهماً منها ولذلك فهو غال جداً وثمن الدرهم منه الآن اكثر من الف جنيه فهو اغلى من الذهب واللؤلؤ والماس والياقوت والزمرد ومن كل حجر كريم او معدن من المعادن . والمظنون انه نادر على نسبة غلاء ثمنه . وهب انه اكثر ثمناً يظن الآن فلا يحتمل ان يكون كثيراً مثل الذهب . وهو اغلى من الذهب ثلاثة آلاف مرة فان ثمن الاوقية من الذهب اربعة جنيهات واما ثمن الاوقية منه فاثنا عشر الف جنيه اي ان

الدرهم منه يساوي ثلاثة آلاف درهم من الذهب . فعنصر ثمين مثل لا يحتمل ان يكثر استعماله حتى يشيع

قدم علوم الهند

الف الدكتور برافولا شندرا راي استاذ الكيمياء في مدرسة كلكتا الجامعة كتاباً في تاريخ الكيمياء عند الهنود بين فيه ان علم الكيمياء كان قديماً جداً في بلاد الهند وان العرب اقتبسوه منهم واقتبس اليونان قبلهم شيئاً كثيراً من معارفهم في الطب والكيمياء والرياضيات . وهم الذين برهنوا القضية السابعة والاربعين من قضايا اقليدس التي يقال فيها ان مربع وتر المثلث القائم الزاوية يعدل مربعي ساقيه وكان ذلك قبل ميلاد فيثاغورس بمئتي سنة . وعرفوا فائدة بعض النباتات في علاج الامراض قبل المسيح بالفي سنة وعرفوا من ذلك الحين الذهب والرصاص وعلقوا عليهم بعض الفوائد العلاجية فقالوا ان الذهب اكسير الحياة والرصاص يبطل فعل السحر . ومشت الكيمياء عندهم مع الطب فتقدمت بتقدمه وكانوا يستعملون مستحضرات الزئبق وبعض المعادن الاخرى قبل براسلوس بقرون كثيرة واستعملوا اكسيد

الزبيق الاسود علاجاً داخلياً في القرن العاشر
قبل المسيح وعرفوا قبل ذلك ان هب النحاس
ازرق ولهب الرصاص اصفر وقالوا ان المعدن النقي
المحص هو الذي يصهر في البودقة فلا يخرج
منه شرار ولا فقايع ولا صوت ولا يطرش
ولا تظهر خطوط علي سطحه . وقد صبوا عمود
الحديد الذي قرب دهلي وثقله عشرة اطنان
او نحو ثمانية آلاف اقة منذ الف وخمس مئة
سنة وصنعوا سقف رواق الهيكل في كنوراك
وهو من الحديد

واستنتج الدكتور راي من شواهد كثيرة
اقتبسها من كتب الهند القديمة انهم سبقوا
ام الارض كلها ما عدا الصينيين الى كثير من
العلوم والمعارف

اكرام العلماء

احتفل الايطاليون في اوائل هذا الشهر
بمنح السنيور مركوفي حرية مدينة رومية .
فعقد اجتماع عظيم في رومية في السابع من
الشهر وادبت مادبة شائقة في مساءه اكراماً
له وجاءته رسائل التهاني تدرى من جميع
جهات المملكة الايطالية . ولا يزال مقيماً في
رومية بكرر تجاربه وامتحاناته ويقال انها جاءت
بالنتائج الحسنة

واحتفل الانكليزي في اواخر الشهر ببرور
مئة سنة على اعلان دلتون العالم الانكليزي
الشهير لمذهب الجوهر الفرد المعروف باسمه فانه

النبات الوافي من البعوض

ارسل الكبتن لاريمور كتاباً الى التيمس
يقول فيه انه جاء نبات من بلاد النيجر في
غرب افريقية الى بلاد الانكليز واهداه الى
حدائق كيو في لندن ليراه كل من شاء .
ومن خصائصه علي ما يعتقد الوطنيون انه اذا
اغلي وشرب مأؤه شفى من الحمى المalarie .
وكانت جريدة ناشر الانكليزية قد نشرت
خبراً في اوائل السنة نقلاً عن الكبتن نفسه
مؤداه ان في بلاد النيجر نباتاً من فصيلة
الريحان (الحبق) بقي من البعوض كما ذكرنا
في حينه

وارسل السير جورج برودود كتاباً آخر
الى التيمس يقول فيه ان الهنود يعرفون مزايا
هذا النبات وانه علي نوعين بري واهلي .
واستشهد علي ذلك بالقصة الآتية وهي انه
بينما كانوا يشتئون حديقة فكتوريا في بومباي
اصيب الفعلة بالمalaria من شدة فتك البعوض
فزرعوا النبات المذكور في جوانب الحديقة
بناءً علي اشارة ناظر الحديقة الهندي فآثر
ذلك تأثيراً ظاهراً تخفت الحمى وقل
البعوض

الميكروبات المنيرة

عقدت جمعية العلوم في فينا جلسة قرأ الاستاذ مولنج فيها مقالة عن الميكروبات الفصفورية . وما قاله انه صور جماعات منها مجرد نورها وانه اذا ملئت زجاجات كبيرة تسع لترًا الى لترين سائلًا ملائمًا لنموها ووضعت كمية منها في ذلك السائل تكون من ذلك "مصباح" يستطيع الواقف امامه ان يقرأ الثرمومتر او يرى الوقت في الساعة الصغيرة وهو على بعد متر او مترين عن المصباح . واذا كان الليل حالكا امكن رؤية المصباح على بعد ستين خطوة . وقد اشار باستعمال هذا المصباح في مخازن البارود حيث يحظر ادخال النار خوفاً الانفجار وفي صيد السمك فان السمك اذا رأى النور تهافت عليه فسهل صيده ويبقى المصباح منيرا اسبوعين او ثلاثة اسابيع اذا وافقته الاحوال

انهيار عظيم

انهار جرف عظيم من الصخور في مدينة فرنك غربي كندا فسد الوادي الذي تحته على تمامه وغطت قطع الصخور المتناثرة خط سكة الحديد على مسافة ميل ونصف شرقي المدينة وارتفعت اعمدة كثيفة من التراب والغبار على اثر الانهيار ظنها الناس مسببة عن انفجار بركاني في اول الامر واشاعوا ذلك ولكن ثبت انه ليس للبراكين يد في تلك الحادثة

تلفراف مركوني

أجاب احد وزراء الانكليز في مجلس النواب على سؤال ألقى اليه فقال ان مجلس التجارة وجد مصاعب حمة في استعمال تلفراف مركوني بين السفن والبر بخلاف استعماله بين سفينة واخرى في عرض البحر وقال آخر ان متوسط نفقات نظارة البحرية على استعمال التلفراف المذكور بين بوارجها يبلغ الآن نحو ٢٠٠٠٠ جنيه سنوياً

ونشرت احدى الجرائد النمسية رسالة برقية وردت عليها من احد مكاتبيها بالتلفراف الذي بلاسلك وكان راكباً قطار سكة الحديد بين مدينتين نمسيتين والقطار ينهب الارض نهباً فلم يؤخر ذلك وصول الرسالة

تاريخ الحديد

اجتمعت جمعية المهندسين الميكانيكيين في انكلترا في اواخر ابريل الماضي فخطب رئيس الجمعية في الحديد وتاريخ استعماله لحاجات الانسان فقال انه ثبت ان الحديد كان معروفاً في مصر منذ اربعة آلاف سنة قبل المسيح وكانوا يسكنون منه الاسلحة ويطبعون الادوات والآلات المختلفة . ثم أسدلت الحجب عليه ولم يعد يعرف من امره شيء مدة ثلاثة آلاف سنة ولكنه عاد فاشتهر في عصر هو ميروس اي في نحو القرن العاشر قبل المسيح ولم تعرف طريقة صهر الحديد حتى

اواخر القرن الخامس عشر من التاريخ المسيحي
اي منذ نحو ٤٠٠ سنة والالات التي لم يكن
عملها بالمطرفة ممكنًا كانوا يصنعونها قبل ذلك
من البرونز

الله والعلم

خطب الاستاذ هنسلو في غرة الشهر
الماضي خطبة موضوعها "المذهب العقلي
وفحص مذهب دارون" وكان اللورد كلشن
أكبر علماء الانكليز حاضراً فنهض لما اتم
الخطيب خطبته وقال ما ترجمته "اني موافق
على كل الامور الجوهرية التي قالها الاستاذ
هنسلو ولكنني لا اوافقه على ان العلم يقف
موقف المرتاب من حيث الايمان بوجود
الخالق لا يثبت ولا ينفيه بل هو يثبت وجود
القوة الخالقة حتماً لاننا لا نحيا ونتحرك ونوجد
بالمادة الميتة بل بالقوة الحية المدربة . ولا
نقدر ان نتخلص من هذه النتيجة حينما نرى
المواد التي حولنا حية كانت او غير حية وندرس
خواصها الطبيعية وسيعود علماء الحياة الى
الاعتراف بوجود الاله الحي المجهول وبانه
غير القوى الطبيعية والكياوية . يضع العلم
امامنا شيئاً مجهولاً اذا فكرنا فيه قصد ادراكه
رأينا اننا كلنا من اللادربين وانما نعرف الله
بأعماله ويضطرنا العلم الى الايمان والثقة بقوة
مدبرة بفاعل وراء القوى الطبيعية والكهربائية
لقد انكر شيشرون ان الناس والنباتات

والحيوانات يمكن ان تكون قد وجدت من
انضمام الجواهر الفردة بعضها الى بعض بالصدفة
ومن لا يؤمن ايماءاً عديداً راسخاً بوجود الخالق
يضطر ان يؤمن بان الجواهر تجتمع من نفسها
بالصدفة وتكون الكائنات لانه لا يوجد
فرض ثالث . ومن يتصور انه يمكن ان تتألف
الجواهر من نفسها فتكون بلورة او نباتاً او
ميكروباً او حيواناً حياً . ان انضمام الجواهر
بعضها الى بعض بالصدفة على ما ذكر شيشرون
لا يبعد عن تكون البلورات ولكن رجال العلم
في هذا العصر يوافقونه على القول باستحالة
ذلك في تعليل وجود الدقائق في الاجسام
الحية او نموها او استمرارها . وهنا لا بد للفكر
العلمي من الاعتراف بوجود القوة الخالقة
منذ اربعين سنة كنت ماشياً مع لبيخ
في بعض الحقول فقلت له هل تعتقد ان
النباتات التي حولنا مت بالقوى الكياوية .
فقال "كلاً" الا اذا اعتقدت ان كتاب
النبات الذي يصفها ألف عجمي بالقوى الكياوية
وكل فعل من افعال الارادة العجيبة بالنسبة
الى العلوم الطبيعية والكياوية والرياضية
واني اعجب بما في خطبة الاستاذ هنسلو
من الفكر الحر الخالي من كل ضرر . ولا
ضرر من حرية الفكر لان من يعمل فكرته
ملياً يضطره علمه الى الايمان بالله وهذا
الايمان هو اساس الدين فيجد العلم عوناً
للدين لا عدواً له

الغاز المنير من الماء

بين الاستاذ طمس ان الماء الخارج من الآبار الارتوازية ونحوها يكون فيه غاز منير انارة كهربائية كالراديوم وهو يخرج منه بالاغلاق او بجعل الهواء يمر فيه فيحمل الغاز معه . وهذا الغاز كثيف جداً وتسييله اسهل من تسييل الهواء ورائحته مثل رائحة غاز الفحم وقد امتحن مياهاً مختلفة فوجد هذا الغاز في كل المياه الخارجة من آبار عميقة ولم يجده في ماء المطر ولا في مياه البرك ولا في المياه الخارجة من آبار غير عميقة

جبال القمر

حقق الرحالة مورما ذكره مئات من السياح قبله وهو وجود جبال عالية في الجهة المتوسطة من شرقي افريقية تمتد من الشمال الى الجنوب وترتفع قننها حتى تصير فوق حد الثلج الدائم فيغطيها على مدار السنة ولو كانت على خط الاستواء . وقد وجد ان الحد الذي يدوم عنده الثلج هناك ارتفاعه ١٣٥٠٠ قدم عن سطح البحر وارتفاع بعض تلك القنن ١٦٥٠٠ قدم لكن السر هري جنستن قدر ارتفاع بعضها أكثر من ٢٠٠٠٠ قدم وهي التي كان القدماء يسمونها جبال القمر قال ابو الفداء " وجبل القمر في الخراب الجنوبي عرضة احدى عشرة درجة جنوبي خط الاستواء ومنه منابع نيل مصر ولم يثبت وصول احد

اليه بل شاهده من بعد . قال النصير الطوسي في التذكرة انهم شاهده من بعد وهو ابيض من الثلج الذي عليه . واستبعد ابو الفداء ذلك لشدة الحرارة هناك لكن ما استبعد صحته صحيح لا شبهة فيه

هبة علمية

وهب المستر كارنجي مئتي الف جنيه لجمعية المهندسين الاميركيين لكي يبنوا بها داراً يجتمعون فيها في مدينة نيويورك ويجمعوا فيها مكتبة حافلة بنفائس الكتب

الاعلانات في اميركا

ينفق الاميركيون على نشر الاعلانات ستمئة مليون ريال كل سنة اي مضاعف ثمن القمح الذي يستغلونه . ومن مجلاتهم مجلة تأخذ اجرة الصفحة الواحدة اربعة آلاف ريال وعدد ما يطبع منها تسع مئة وخمسون الف نسخة . والذين يعلنون في اميركا لا يزيد عددهم على نحو الف نفس وقد اكتشفوا طريقة للكسب لم يبتد اليها غيرهم مع انهم يرونها دائماً

آثار جازر

اهتمت جمعية النقب في فلسطين بالبحث عن آثار مدينة جازر التي اعطاها ملك مصر مهراً لابنته زوجة سليمان الملك وهي بين يافا والرملة وقد وجد المستر مكليستر آثار سورها القديم وهو من عهد سليمان او من قبله وآثار

سور آخر بعده وآثار هيكل قديم جداً من قبل أيام بني اسرائيل وكثيراً من الآثار المصرية من الجعلان ونحوها

بعل حرمون

على قنّة جبل الشيخ المعروف في التوراة باسم جبل حرمون آثار هيكل قديم وجد فيه السر تشارلس ورن منذ نحو ٣٥ سنة حجراً عليه كتابة يونانية فاستأذن رشيد باشا والي دمشق حينئذ في نقله الى بلاد الانكليز وتمكن الآن الاستاذ كرهنت غانو من قراءة كتابته واذا فيها ما ترجمته "بامر الاله الاكبر القدوس كل من...."

وارتأى ان هذا الاله هو اله الساميين الذي كان يُعبد في قنّة ذلك الجبل ويسمى بعل حرمون وقد بني له الهيكل الذي كان هناك

رحلة سفن هدن

خصّصت حكومة اسوج اربعة آلاف جنيه لطبع رحلة الدكتور سفن هدن في قلب اسيا بكل تفاصيلها وسيكون فيها اطلس كبير في مجلدين ومجلدات اخرى لوصف البلاد التي سار فيها والارصاد الجوية التي رصدها وما رآه فيها من النبات والحيوان . وسيطبع هذا الكتاب النفيس باللغة الانكليزية لكي يطّلع عليه العدد الاكبر من القراء

احدى معجزات الجراحة

من معجزات الجراحة عملية عملها جراحو مستوصف الرمد في غلاسكو باسكتلندا لشاب ولد اعمى فابصر . والجراحون هم الدكتورة روجرس وستوارت ومايتلندرسي . وملخص الخبران رجلاً اعمى منذ ولادته وعمره ٣٠ سنة واسمه جون كاروث أخذ في ٢٤ الماضي الى المستوصف المذكور فعملت له عملية جراحية في عينيه فابصر وكان اول شيء رآه وجه الجراح الذي عمل له العملية فلم يعلم ما هو فلما تكلم الجراح علم انه وجهه . وله اقوال واعمال واطوار غريبة فانه اعجب بكل شيء رآه وسمعه مما لا يجب به الا الطفل الصغير ولا غربة في ذلك . وقد شرع يتعلم مبادئ القراءة والكتابة وغيرها من الامور الابتدائية التي يتعلمها الطفل من امه . ولما كان اعمى كان يعرف اصحابه من سماعه لاصواتهم فلما ابصر ووقف اصحابه امامه ظل يعتمد في معرفتهم على سماع اصواتهم فلا يعرفهم الا بعد ما يتكلمون

وقال انه لم يرب بعد احداً يبكي ولا يريد ان يرى ذلك بل يود ان يرى الوجوه والثغور باشة مبتسمة . وركب مرة قطرسكة الحديد فاغرب في الضحك عند ما رأى المنازل والاشجار التي الى جانبي الطريق تحرك ظناً منه انها هاربة

ومن اقواله انه سئل عن رأيه في النساء فقال

”انهن جميلات جداً وكذلك المخلوقات العاقلة . ولقد طالما سمعت وانا اعمى ان النساء يرثن لي ويرفقن بي ويعطفن عليّ وقد تحققت الآن صدق هذا الخبر وذكرت المثل القائل ليس السمع كالبصر . اما جملهنّ وانسهنّ ولطفهنّ فما يعجز عن وصفه اللسان ولا يختلف فيه اثنان“

وسأله احد اصحابه عن رأيه في الاطيار فقال له انه كان يعرفها من اصواتها لكنه يراها الآن بعينه فيشاهد طيرانها في الفضاء ونشوبها في عنان السماء وينظر ارتفاعها وهبوطها وقيامها وسقوطها ويعجب من عدم مشاركة الناس له في الاعجاب بتغريدها الساحر وجمالها الباهر

ثم رأى بطة تسبح في غدير فشاقة منظرها ووقف يتفرّس فيها وتأسف لما توارت عن عينيه قبلما يتلى رؤيتها ويتمتع منها . ورأى طيوراً داجنة فذكرته الدجاجة الرنقاء فاحبّ ان يراها حاضنة لبيضها وعائلة لفراخها . ثم رأى ماشاء من الخيل والبقر والكلاب والقطط وغيرها من الحيوانات الاليفة فلم يعجبه منظرها كثيراً لانه كان يتلصق بها وهو اعمى فرسم لها في ذهنه صورة من حيث كبرها وصغرها وما يتعلق باختلافها بعضها عن بعض فلم يعد يجد فيها شيئاً يستوجب دهشته واستغرابه

التصوير على الاثمار

يعلم الذين رأوا التفاح على الاشجار انه يحمرّ في الجهة المعرضة للشمس ويبقى اخضر او اصفر في الجهة التي لا تصيبها الشمس . وقد انتبه بعض الفرنسيين لذلك وجعلوا يقطعون الورق الرقيق على اشكال حروف او صور ويلصقونها بالاثمار قبلما تنضج باسبوع من الزمان فترسم صورة الورق على الثمرة وتباع بثمر غالٍ من نصف جنيه الى عشرين جنيهاً حسب اثنان الرسم وغنى المشتري

جلود الضفادع

تكثر الضفادع في بلاد الهند كما تكثر في كل بلاد حارة كثيرة الماء وقد وجد الهنود فائدة لها الآن بسلخ جلودها واستعمالها في تجليد الكتب والدفاتر ويقال ان جلد الضفدع لين ناعم يتلون بما يراد من الالوان قبائل الشلّة

تبين لنا من حديث جرى لنا مع حضرة القس كلي جفن المرسل الاميركي المقيم بين زنوج الشلّة المعروفين عندنا بالشلّك على ضفة نهر السبّ في مديرية فشودة بالسودان انهم يعتقدون كلهم بوجود اله كبير واله اصغر منه وهذا الثاني هو الذي يهتم بامورهم ويميزون بين الحلال والحرام ويصدقون في كلامهم ويكرمون نساءهم اكثر من كثير من الامم المتقدمة في الشرق ويعتنون بنظافة منازلهم

فهرس الجزء السادس من المجلد الثامن والعشرين

٤٤٩	تعاون النبات والحيوان (مصورة)
٤٥١	الهمة بعد الستين
٤٥٣	العمي يبصرون والصم يسمعون
٤٧٥	منزلة الشعر من التاريخ . لامين افندي ظاهر خير الله
٤٦٢	ظاهر العمر . لبرجي افندي يني
٤٦٦	الاخصاء . لمحمد افندي كرد علي
٤٧٠	احدى غوامض التاريخ
٤٧٤	ركفلر ومقدرة المال (مصورة)
٤٧٧	توحيد الدين العثماني . ليوسف افندي ضاهر
٤٨١	ربّات التحرير وربّات الخدور
٤٨٤	سدني كوبر المصور (مصورة)
٤٨٩	عمران العراق
٤٩٥	حمى الدنج (ابو الركب) (مصورة)

٥٠٤	باب المراسلة والمناظرة * الدكتور سليمان الخوري . المدارس السورية الانكليزية . توجيه نظر . الغربان والنخل
٥٠٨	باب تدبير المنزل * مسز هكفوردي . نمر يض المرضى
٥١٦	باب التفريط والانتقاد * نهاية الاحكام في بيان ما للنية من الاحكام . القصائد الهاشمية . الصحراء الشرقية . نقر بر الاحداث الجوبة . الري في وادي البو . جامع بيان العلم وفضله . تراجم مشاهير الشرق . ديبان الراعي . الفضيلة . البهارسيا والنواصير البولية
٥٣٤	باب المسائل * زمن آدم . قدم العالم . زوال التباغض . احوال السودان . منشأ زى . النساء . ولاية العهد في تركيا . النمل . البرغش . تحريك الاطراف . مراكر قوى العقل . مشابهة الولد لوالديه . ولادة التوأمين . اصل الانواع . اولاد السود والبيض . فقد السمع
٥٣٩	باب الاخبار العلمية * وفيو ٢٠ نبذ رواية كلبو باطارة ملحقه بالمقتطف

وابتدا القتال وكانت جنودنا تنتظره بفارغ الصبر . فتقدم الجناح الاليسر من الاسطول
وكنت ارقبه بقلب خافق فرأيت البوارج تسير الهوينا متوشحة بالعظمة والجلال
وكان انطونيوس قد خطب في الجنود مبيناً لهم ان بوارجنا وحدها كافية لقهر العدو .
والخطابة تخنل الالباب . وقد كنت مثله واثقة بالفوز ثم ودعني وسار الى بارجنه وكان
وداعه لي مقتضباً على غير عادته فشغل بالي وحسبت ان محبته اخذت تفتر لانني لم اعد كما
كنت بعد ان فارقت الاسكندرية وتعذر علي استعمال ادوية اوبلس لاختفاء آثار الشيوخه
من وجهي فقلت في نفسي لا بد لي من ان اتركه وحده يدير رحي هذه الحرب . ووضعت
كاس نكتانيبوس امامه لكي ينظر اليها فنظر واثرت فيه فاطاعني ولكن مكرهاً . قوتل الكبر
فقد نقصت آثاره عيشي
فقلت ابراس ما هذه الهواجس يا مولاتي اقسم لك بكل عزيز في اراك الان كما كنت
منذ عشرين عاماً

فقلت كليوباترة الفضل لهذه الادهان التي ركبها لي اوبلس . لكن لما كنت في
الاسطول كان منظري يُرعب وكنت اخاف ان ارى وجهي في المرآة . لقد اصاب الرومانيون
في ذمهم المرآة التي تخرج من بيتها الى ميادين القتال . ولذلك عقدت نيتي علي ترك الحرب
لانطونيوس والرجوع الى بيتي والى اولادي لانه لا يهملهم رؤية الشيب في رأسي والغضون
في وجهي ثم اذا افتقدني انطونيوس ثارت الحجة القديمة في قلبه . فاستدعت الكساس وامرته
ان يخبرني حالما يستتب النصر لنا حتى اعود من ساعتي الى الاسكندرية وبقيت واقفة ارقب
بوارج العدو فرأيتها تدور في دائرة كبيرة وقيل لي ان اغربا يقصد ان يحيط بنا فشغل بالي
وندمت لانني تعرضت لاعمال الرجال

والتفت انطونيوس الي من بارجنه فاشرت اليه بيدي ونظرت الى مكان الخطر فلم يجيني
كما كان يفعل قبلاً بل ادار ظهره كأنه لم يعبأ بي . ثم علا الصياح فالتفت واذا سفينة اشتبكت
باخرى فاصطدم الحديد بالحديد وعلت الصيحات يتخالها صوت وقع الحجارة من المجانيق ونداء
القواد وانين الجرحى . واصيب جنديان من جنود بارجتي بسهمين فوقعا بجاني لكن شجاعتي لم
تفارقني ورأيت صفاً من بوارج العدو آتياً نحو وبارجة رومانية طاردها بارجة من بوارجي
واغرقتها فسررت لانني حسبت ذلك فاتحة النصر وامرت الناقذة ان يدير مقدم بارجتي نحو
الاسكندرية حالما يتحقق ان النصر لنا وقبل ان اتم كلامي جاءني ياسون بشراب منعش فاخذت
الكاس من يده ولم اكء ارفعها الى فمي حتى وقع حجر على رأسه فطير دماغه فوقع يختببط بدمائه

وجهد الدم في عروقي ووقف الكساس امامي وهو يرتجف وقال لي هل تأمريننا بترك القتال وكدت اقول له نعم ولكن تغلبت شجاعتي عليّ وسألت الناختاة قائلة هل نحن فائزون فقال نعم فرأيت انه حان الوقت لاعدو يبارجني وامرته ان يدير الدفة ويرجع بنا والظاهر انه لم يفهم كلامي وزاد الصياح حتى صمت الاذان وجاءتني شارميان تطلب مني ان ادخل الى مقصورتي فلم اجبها بل ارسلت الكساس الى القائد فمضى اليه وهو شيخ ممك وكثر الحجاج واللجاج بينهما ورأيت البوارج حولي والمجاذيف تحبب في جوانبها بسرعة تحطف الابصار فلم ادر ابوارجنا هي ام بوارج العدو وجاء الناختاة يتوسل اليّ لكي انتظر قليلاً فلم اسمع له بل قلت يجب ان تطيع امري حالاً فحني رأسه وفعل كما امرته ودارت البارجة وسارت جنوباً وكنت واقفة تحت سترة نقيني السهام والمقدوفات وشعرت حينئذ بانني بعدت عن عين انطونيوس النفاذة فلم يعد يرى قبح منظري . ثم التفت فاذا بوارجي كلها قد دارت وتبعني فدهشت وارتعت لاني لم امر بذلك وطلبت الكساس فاخفي من وجهي وارسلت قائد مئة ليقول للناختاة ان يشير الى البوارج لتعود الى القتال فعاد حالاً وقال انه وجده مقتولاً فامرت ان يقوم ثانيه مقامه فلم يصل الامر الى البوارج لانها ظلت تسير وراءنا . والتفت الى بارجة انطونيوس فرأيت واقفاً على المرقب فاشرت اليه بيدي فجعل يناديني باعلى صوته ولكنني لم افهم ما كان يقول ولا ازال اتذكره واقفاً بيده على فمه فاشرت اليه اني ذاهبة جنوباً ودعوت له بالنصر لكنه انفض رأسه ووضع يده على جبينه واثار بالاخري فلم افهم مراده وابتعدت بارجتي عن بارجته

وسررت بالابتعاد عن خطر مزدوج حاسبة اني لو بقيت واقفة امام انطونيوس وانا على ما كنت عليه لآل الامر الى ما لا احب . فبحاً لتلك الساعة ما اشأما لكنني لم ادرك حينئذ مقدار الخطأ الذي ارتكبتة والخراب الذي جلبته على بيتي وبلادي والعالم اجمع واخذتني شارميان الى مقصورتي ولما جلست فيها انجلت لي حقيقة فعلي فاني اتيت لاساعد انطونيوس على قهر الاعداء فسمعت لهم سبيل الفوز علينا . واقلقني هذه الافكار وسلبت راحتي فجعلت امشي ذهاباً واياباً وانا ذاهلة مضطربة وبينما انا على هذه الحال سمعت صوتاً شديداً كان بارجة صدمت بارجتي وكسرتها فقلت في نفسي لقد طاردنا العدو ولحقنا فاستللت الخنجر الذي كنت عازمة ان اقتل نفسي به اذا خفت من الوقوع في الاسر . واذا بشارميان بسرعة اليّ وكنت قد طردتهما من وجهي لانها طلبت مني ان الغي الامر الذي اصدرتة بالرجوع الى الاسكندرية . انت وعلى وجهها غيرة الموت وقالت ان انطونيوس ترك بارجته

ونزل في زورق واتي الى بارجتنا فحمد الدم في عروقي لما سمعت هذا الخبر وقلت في نفسي انه اتى لكي يلزمني بالبقاء ههنا ولكني سأريه اني انا الملكة وامري يجب ان يطاع لا امره غير ان قلبي عصاني واوعز الي ان اطرح نفسي عند قدميه وافعل ما يشاء. وكنت منتظرة ان ينزل الي فارسلت اليه شارميان فوجده جالسا امام مقصورتي وقد اسند رأسه على كفيه وغاص في بحار الافكار. انطونيوس افرس الفرسان الاسد الغضنفر جلس مبهوتا كاسف البال كأنه صبي راع خطف الذئب خرافه. انطونيوس البطل الباسل الذي اقتحم مئة معركة من معارك القتال رمى سيفه وجلس ولماذا لان امرأة خافت على نفسها واطاعت حبها لاولادها فهربت من حومة الوغي. قولي عن انطونيوس ما شئت الا الجبانة فانها ابعد الاخلاق عنه وهو الرجل الذي اشتهر باقتحام المخاطر. والان لا يمكن لا يمكن ان يمازج الجبن طبع انطونيوس او يمتزج الماء بالنار. لا بد من ان شيطانا تغلب عليه وقوة سحرية فعلت به

فقال ايراس واي قوة اشد من قوة الحب فحبك لك الحب الذي يفوق التصور هو الذي منعه من الابتعاد عنك

فقلبت كليوباترة شفيتها وقالت الحب الحب لو كان الحب الذي يجعل النفسين نفسا واحدة لرأى نفسي تخفق في صدره لكن ثارت العواصف قبل القتال وتعدت علي ان اظهر امامه كما نود ان نظهر امام الذين نحبهم والان وقد بذلت جهدي في تحسين منظري ولا ازال ارى نفسي مصنعة تصنيعا

فرفعت ايراس يديها وقالت اليك عن هذا الكلام يا مولاتي فاني اؤكد لك ان جمالك لا يزال على نضارته رغما عما في شعرك من الشيب وفي وجهك من الغضون اما الشيب فزال الآن والغضون تزول حالا بدواء اولبوس وكيف تزيل هذه الطفائف رونق الجمال الالهي الذي خصتك به الآلهة

فقال لها كليوباترة اليك من هذا التملق فاني أعرف الناس بنفسي ومن ينجمون آثار الايام وللجمال دولة معلومة ثم تذهب

فقال ايراس ولكن الآلهة تعطي الذين تحبهم عمرا طويلا. الزينق يزهر وينضمر ولكن نضارته الى يوم واما الجميز فتبقى فيه نضارته الوفا من السنين. وانت لم تذبل ورقة واحدة من زهرة صباك وهل يصح ان نتهم بقلّة الحب والوفاء الرجل الذي ترك كل ما يتفخر به الرجال لانه لا يستطيع الصبر على فراق المرأة التي يعبدها

فقال كليوباترة يا حبذا لو كان الامر كما تقولين. ولكن اواثقة انت ان حبه لي هو الذي

جعله يترك القتال ويتبعني اما انا فلا ارى رأيك لان الحب الصحيح لا يضعف مزايا الرجال بل يقويها ولقد رأيت ذلك في قيصر لما كان محصوراً في هذا القصر وحرقت بوارجه وقُطع عنه الماء. بل هذا كان شأن انطونيوس ايضاً وقد رأيتُه فيه مئة مرة لما كان يحبني من كل جوارحه. ولكن ماذا جرى الآن وكيف ترك القتال ياويلاه وواخجلاته يا للعار ويا للشنار سيقى اسمنا مضغة في الافواه ابد الدهر. ان القصير النظر يحسب ان الحب الاعمى قاده الى ما فعل حتى داس اسمه وشرفه وحاضره ومستقبله واما انا — وهذا الذي شيب رأسي وطرده النوم من جفني وسيزيل كل لمحة جمال من وجهي — فأعلم لتركه القتال سبباً آخر ولا يد للحب في جعله يدوس شجاعته برجليه ويتبع امرأة ضعيفة فارّة من مواقع القتال

وهنا خانها صوتها فامسكت بذراع ايراس وادنتها منها واسرّت في اذنها قائلة لا تنسي كاس نكتانبيوس الكاس هي التي سحرته. الكاس هي التي لاشت شجاعة ابن هرقل والقتة علي ظهر سفينتي كأنه قصة مرضوضة. الآن قد صمت ولم تعودي تستطعين الكلام مع طول حجتك وكيف تشكين وانت التي ساعدتني على استخدام هذه الكاس فصار بها اطوع لي من بنائي ولم أكن قبل في حاجة اليها لانه كان دائماً طوع امري ولكن قام شيء بينه وبينى فكنت اراه قبل اشتباك القتال يريد التخلص مني وردي الى بلاديه فاستعنت بالكاس وجعلته يحدق اليها طويلاً ويرى النور المنعكس عنها حتى كاد يذهل ثم قلت له يجب عليك ان لا تفارقني ابداً فلما شرب منها طلب مني ان لا افارقه وفي صباح يوم القتال سقيته بها وجعلته يحدق اليها ولجأت عليه ان لا يفارقي مهما كانت الحال فاطاع حتى لما رأيته راجعة يبارجتي رأى نفسه مقيداً بي بسلاسل من الحديد. واشقوته. ولكن ماذا اقول ومن اشكو. لو لم اسحره بهذه الكاس لآخذ أخرى مكاني لآخذ المرأة التي سحرته بصوتها كما سحرتني. رأيتُه ينظر اليها بعينين مفتوتتين تخفق فؤادي وانا عالمة ان الذي حرّسني منها ليس غبرتي العمياء الخلة القبيحة التي نغصت عيشي بل خوفي من انها تفتنه وقد كان خوفي في محله لان الكساس نديمه اخبرني بما حقق لي صدق ظني واخبرني اموراً أخرى عرفها بالتعجيم ثم هو يعرف تلك الساحرة لانها كانت زوجة لآخيه فاضطرّ ان يطلقها لكي لا يلصق عارها به

فقال ايراس هذه بارين ولا بد

كليوباترة — اذن تعرفينها

ايراس — نعم اعرفها لسوء الحظ ولكن اعفني من الكلام في هذا الموضوع يا مولاتي لانه ليس فيه إلا ما يزيد نغصك فان انطونيوس زار هذه المغنية في بيتها ولم يكتف بذلك

بل اخذ معه ابنة غير مرة والناس كلهم يعرفون ذلك . ولم يقف الامر عند هذا الحد .
لا اقول ان بارين او غير بارين تسول لها نفسها ان تناظركِ معاذ الله ولكن من يستطيع
ان يضع حداً لمطامع هؤلاء النساء ولما تطمع اليه ابصارهن فانهن لا يوقرن شيئاً ولا يحترمن
ذا مقام . لما ذهبتن كلكن وذهب الجيش ايضاً خلت الاسكندرية من الرجال الذين يستحقون
عنايتها على ما يظهر فنصبت شباً كها للاولاد واصطادت بها الملك قيصريون

فصرخت كليوباترة قيصريون واين كان معلمه رودون وماذا فعل باوامري المشددة
ف قالت ايراس ان انتلُس عرفه بها سرّاً وقد اقيت عيني عليه لكنه تعلق بها ولم نجد لها
سبيلاً الا ابعادها عن المدينة وقد ساعدني ارخيوس في ذلك

كليوباترة — اذاً كيف ثافي مؤونة ابعادها

ايراس — كلاً لان قيصارون تبعها وهي خارجة من المدينة

كليوباترة — وهل ردها

ايراس — كلاً يا ليتهُ تمكن من ردها لكن كان معها واحد من الواقعين في هواها فاستل
سيفه ودافع عنها وجرح ابن قيصر . لا تجزعي يا مولاتي لا تجزعي فاني اؤكد لك ان الجرح
طفيف ولا يهيم امره وانما يهمننا حبه لها فانها قد فتنته

فحفظت عينا كليوباترة وقالت بعظمة وكبر ان ام قيصريون تعرف كيف نقيه شر هذه
اللعيبة . لقد اصاب الكساس فان نجمها واقف في طريق نجمي ولا بد لي من ان اقي نفسي منها .
وهي التي وضعت نفسها بيني وبين انطونيوس ولكن لماذا اخدع نفسي فان للسن حقوقاً وهو الذي
تغلب علي لا بارين ولا غيرها . ثم كنت في حالة لا استطيع معها اخفاء العيوب التي تنفر
منها عينا انطونيوس وهذه الامور ساعدت تلك المغنية فكان الفوز لها لانها حاصلة على كل ما
تستعين به المرأة على اخفاء نقائصها واظهار محاسنها واما انا فلم تكن يدك معي ولا كان معي
دواء اولبوس فاضطرر المعبود ان يظهر امام العابد بلا زينة ولا جمال

ايراس — ولكن من يقول انها تستطيع مناظرتك ولو استعانت بسحر افروديت وايسس
اما الاحداث فلا اسهل من ايقاعهم في المصايد

الملكة — ويحي عليه لو لم يجرح ولولا علي بمقدار ما يجده الحب اذا اراد السالو
لوجدتني الآن مسرورة بما اصابه ولا يبعد ان تظهر فيه نفس قيصر لان الولد سر ابيه . وما
ادرانا ان هذا الولد لا يكون اول مدافع عن امه واول اخذ بثارها اذا استيقظت فيه نفس
قيصر نعم ولا بد من ان يسترد ملك ابيه الذي اغتصبه اكتافيانوس . انقولين ان جرحه طفيف

ايراس — نعم هكذا قال الاطباء
كليوباترة — ليكن كذلك فليدخل معمعة الحياة والميدان واسع امامه لتمرين قواه وانا
واقفة ان سهم هذه المرأة الطائش لا يمنع ابن قيصر عن اقتفاء خطوات ابيه . ولكن ارسلني
الى المرأة التي حاولت اقتناصه لتأتي الى هنا حتى ارى كيف تظهر امامي . قالت ذلك وعيناها
تتلاان كأنها شعرت بالفوز عليها

فقال ايراس ان لك ان تدوسيهما بقدميك وترسلهما الى الهلاك هي وكل الذين على
شاكلتها فحسبك ما تلاقينه من الاعداء القادرين على مقاومتك

فقطبت كليوباترة جبينها الصبوح وقالت لها اتشيرين علي بقتلها
فقال ايراس لماذا لا تقتلينها اذا كانت تستحق القتل ولكن ان كانت لا تستحقه فانفيها
الى جزيرة او الى واحة او الى احد المناجم البعيدة فانها تستحق هذا العقاب بما جنت يداها
فاذا نقيتها الى المناجم لم يعد في طاقتها ان تنصب شابها للازواج والابناء

فقال كليوباترة انفيها الى حيث يتحمل الناس اشد انواع العذاب الى ان يريحهم
الموت منها . كلا يا بنتي هذه الغلبة سهلة علي ولكنها دنيئة لا تليق بي ولست احكم على احد
ولو كان عدوي من غير ان اسمع احتجاجه ولا سيما في هذا الوقت الذي انتظر فيه حكم الديان
العادل . فان كانت هذه المرأة تدعوني الى مناظرتها فلا آنف من المناظرة واني اود ان اراها
لاعرف ما هي الاساليب التي استعملتها حتى فتنت الناس من الفتيان الى الشيوخ

فقال ايراس بوجل ماذا تريد ان تفعل يا مولاتي
فقال كليوباترة اريد ان ارى ابنة ليونكس وحفيدة دديموس وهما رجلان لها عندي
منزلة عالية واحب ان امتحنها امتحن عقلا وقلبا واخبر امرها قبلما احكم عليها . ولا بد لي من
ان انازلها في هذا الميدان الذي دعني اليه كزوجة والدة . لا بد لي من ان اراها ولكن كما
كان انطونيوس يراني في الايام الاخيرة من غير تصنع

قالت ذلك ومشيت الى كوة اطلت منها على البحر ثم نظرت الى السماء وقالت مضت الساعة
الاولى بعد نصف الليل ولا بد من التمام المجلس حالا وعندي رأي اذا نجح لمننا شغتنا ونجينا
بلادنا . وسيدوم المجلس ساعة او ساعتين ولا يصعب على المغنية ان تنتظر . ابن تسكن

ايراس — في بيت ابنيها في بستان بانيوم ولكن ان كان لرأي اقل قيمة في عينك
كليوباترة — لا اريد ان يشير علي احد ولا بد من العمل بامري حريفا
واتي التشرىفاي حينئذ وقال ان اعضاء المجلس حضروا وهم في انتظار جلالتك فقالت

لهُ قل لم افي آية حالاً ثم التفتت الى ايراس وامرتها ان تذهب في مركبة مقفلة الى بيت بارين وتأتي بها الى القصر حالاً ولو اضطرت ان تقيمها من فراشها وقالت لها افي اريد ان اراها كما لو كانت على ظهر سفينة تناوشتها العواصف

ثم تناولت لوحاً وكتبت عليه هذه الكلمات

”الملكة كليوباترة تود ان ترى بارين بنت ليونكس حالاً ويجب ان تطيع امر ايراس نديمة الملكة“. واعطت اللوح لايراس وقالت لها من تأخذين معك. فقالت آخذ معي الكساس. فقالت حسناً ولكن لا ندعي لها دقيقة تصلح فيها نفسها ولا تنسي انها امرأة. ثم دارت ومشت فتبعها ايراس واصلحت الاكليل على رأسها وظلمات ثوبها فقالت لها كليوباترة ارى انك مشغولة البال وتريدين ان تقولي لي شيئاً آخر. فتنهدت وقالت اواه يامولائي الفحولين الليل نهاراً بعد كل ما مرّ بك من القلق والشغال البال

فقالت الملكة نعم ان الاسبوعين الاخيرين مرّ عليّ كأنهما ليل واحد حالك الظلام ولكن من غرق له حبيب فغاص في البحر ليخلصه لا يهمه برّد الماء فاذا هلكنا فلا فرق بين ان نهلك اصحاء او مرضى واذا استطعنا ان نجتمع جيشاً آخر وننجي مصر فلا اسف على الصحة ولا على الحياة. والدقائق التي ساعطيها لتلك المرأة تضاف الى ذلك ومهما كانت النتيجة فاني مستعدة لها. ونحن الآن في موقف المغلوب لا في موقف الغالب ولا بدّ لنا من القيام بكل ما يُطلب منا كبيراً كان او صغيراً

وبعد قليل دخلت دار المجلس وحيث رجالها الذين جمعتهم في تلك الساعة من الليل لتستشيرهم في رأي نهبتها لهُ الازمة التي وقعت فيها الآن. فانها لما كانت مقتسمة الملك مع اخيها حسب وصية ابيها واضطرت ان تهرب من الاسكندرية الى بلاد الشام رأت في الحد الفاصل بين مصر واسيا آثار ترعة حفرها الفراعنة الاقدمون بين بحر الروم والبحر الاحمر ورأت من ذلك الحين ما يستحق الالتفات في تلك الآثار فتفقدتها ودققت نظرها فيها فرأت انه يمكن اعادة حفر الترعة فتصير السفن تعبر من البحر الواحد الى الآخر كما كانت تعبر في ايام الفراعنة وظلّت كذلك الى ايام داريوس

فاعربت عن رأيها لرجالها وشرحته لهم شرحاً مسهباً بكل تفاصيله كأنها مهندس ماهر بالهندسة المائية وقالت اننا اذا استطعنا حفر هذه الترعة سريعاً بعثنا بقية اسطولنا الى البحر الاحمر ونجينا من العدو وبه مقاومة مدة طويلة الى ان يتيسر لنا تجهيد جنود جديدة او الاستعانة بالخلفاء وحينئذٍ نهجم العدو ووراءنا اسطول يحميننا ونستطيع ان نضيف اليه سفناً

صغيرة بنيتها في القلزم اذ قد اتضح لنا من واقعة اكتيوم ان السفن الصغيرة افضل من الكبيرة
واسهل مراساً

فسمع الرجال لصوتها الرنان مدهوشين من فرط ذكائها وعلو همتها واتساع معارفها واصغوا
الى كل عبارة قالتها بالامعان وكلما زادوا اليها اصغاءً والى معانيها انتباهاً زاد كلامها بلاغةً
وتأثيراً في النفوس . ولم يروا ان الامر الذي تطلبه مما يستحيل عمله . وكان المهندس
جورجياس بين الحضور كما تقدم وهو عارف بمكان التربة لانه كان يساعد اياه في الاعمال
الهندسية التي عملها في شرقي الدلتا وقال انه يتذكر ان الارض مرتفعة ارتفاعاً عظيماً في منتصف
المسافة بين البحرين ولعل ذلك يحول دون المراتد لكنه لم يقطع بهذا الامر لان ما استطاع
الفراغنة الاولون عمله لا يعجز عنه ابناؤه عصره . وقال آخر انه لما اراد فرعون نحو اتمام
هذه التربة هلك بها مئة وعشرون الف نفس ثم اهملت اذ جاء الوحي بان فائدتها للفينيقيين
لا لسواهم . وقرّر القرار اخيراً على انه مهما كانت المضاعب كبيرة فليس من الحكمة الاحجام عن
هذا العمل اذا كان تذليلها في الامكان ولو اقتضى ذلك بذل الجهد الجهد وتسخير كل
العمال لان نجاة البلاد متوقفة عليه . واذا بقي جانب من التربة لم تعمده المياه فلا يتعذر جر
السفن عليه بالآلات التي كانت تجرّ بها المسلات والتايل العظيمة

ولما تم البحث وانفقت الآراء حياً اولئك الرجال ملكتهم واكدوا لها صدق ولائهم وكانت
قد اخبرتهم بكل ما وقع في المعركة البحرية وطلبت منهم ان يكتبوا الخبر فوعدها بذلك
وعين جورجياس من المديرين لانشاء التربة وكانت الملكة قد سحرت بعذوبة منطقها
وتوقد ذهنها حتى كاد يهواها وينسى هيلانة . وكان يعلم ما في هذا الهوى من الهوان ولكنه
اعتذر لنفسه بانه لم ير امرأة تميل اليها القلوب مثلاً

وكان زينون المهردار قد سأل جورجياس عن ديون حالما دخلوا المجلس فقال له ان
الجرح الذي جرحه به قيصريون بالغ جداً ولكن لا خطر منه على ما يقول الطبيب . وطلب
جورجياس منه ان يبذل جهده في الدفاع عن ديون فلم يجبه بشيء لانه لم يكن يعلم ما هو
رأي الملكة في هذه الحادثة

وكلمت كليوباترة كل واحد من الرجال الذين اختيروا لتنفيذ اوامرها وشجعتهم . وسمحت
لجورجياس ان يقبل هذب ثوبها وذلك اكرام فائق لا يناله الا المقربون نفق فواده لما فعل
ذلك وود ان ينطرح عند قدميها ويفتديها بنفسه ولحظت هي ذلك منه وقالت هذا من المجيبين
بيارين ايضاً فلا بد من امر غريب في تلك المرأة حتى تفتن كل الذين فتنهم . ولكن استطيع

ان توفد نار الغيرة والحمية في نفوس هؤلاء الرجال كما اوقدتها انا الان مع اني مغلوبة مقهورة
كلاً . هذا الامر لا تستطيعه الا كليوباترة . فسرت بهذا الخاطر وودت ان تنصف بارين
ولا تظلمها وقالت هذا هو السحر الحلال الذي اسحر به العقول لا كاس نكتانيبوس ولا غيرها

الفصل الرابع عشر

مر على بارين ساعة في القصر . والغرفة التي ادخلت اليها كانت فوق غرفة المجلس تماماً
فكان يسهل عليها ان تسمع كلام الملكة ولكنها لم ترد ان تسمع شيئاً بل كانت تبحث عن
موضوع يسليها ويحول افكارها عما كان جائشاً في نفسها من الانقباض والغيظ والخوف والدهشة .
فانه اصحابها ما لا تستطيع عليه صبراً ولكن كان لا بد لها من الخضوع والتسليم . نعم ان سلوك
فيلستراس زوجها الاول كان قد مرر حياتها ثم جاء اخوه الكساس بوقاحته وفضاضته فكاد
يطير عقلمها من رأسها لكن غيظها منه شدد عزائمها ونجهاها من القنوط واخيراً نجحت مساعيها
ومساعي ذويها في جعل فيلستراتس يطلقها بل هي اشترت الطلاق منه مشترى وكانت قد
نجت من فظاظه الكساس لان انطونيوس ارسله سفيراً في بعض المهام ثم اخذه معه الى الحرب
ولما عادت الى بيت امها عاودتها بهجتها وطلاقة وجهها والنعمت عليها العناية اخيراً بما عدته
اعظم النعم كلها . نعم انها لم تتمتع بهذه النعمة الا بضعة ساعات لان قيصار يون ورفاقه هاجموا
زوجها بعد اقترانهما ببضع ساعات فاعادوا اليها نغص العيش ثم جاءت ايراس وانتزعتها من
بيت امها ومن جانب حبيبها وهو جريح في فراشه انتزعتها بامر الملكة المطاع . فقالت في نفسها
لقد اصاب الرجال الذين يلعنون الاستبداد لان الناس يصيرون به كالبهائم البكم
ولم تكن تنتظر خيراً من دعوة الملكة لها في تلك الساعة لا سيما وانها اخذت للحمى بها
الداء اعدائها ايراس التي كانت تحب ديون وتحاول الاقتران به والكساس الذي ردت به بالخمية
والاهانة على اسلوب لا يغتفره . رأت ايراس برأسها الصغير وانها الدقيق فحسبتها شوكة
ناخسة في جنبها وكانت ايراس قد دخلت وامسكت بيدها امر الملكة وقرأته على مسمع منها .
وقد جرى ذلك كله على هذه الصورة

لما هجم قيصاريون ورفاقه على زوجها غلبها الخوف فاغمضت عينيها ولم تر شيئاً ثم عادت
به واتى الطبيب وضمد جرحه وغيرت هي ثيابها وجلست بجانب سريريه وكانت تعلم انه يسر
برؤيتها في ثوب ايض فلبست ذلك الثوب ووضعت في يدها سواراً بديع الصنعة اهداه اليها
انطونيوس . فلما فتح عينيها ورأها في هذا الثوب ابرقت اسرته وبدت البشاشة على وجهه رغمًا

عما كان يقاسيه من الآلام . وكان الطبيب قد منعه الكلام ولم تكن هي تكلمه إلا همساً واستمرت على ذلك ساعات متوالية لا تقوم إلا لتسقيه الدواء او تغير رفائد الجرح . ولم يكن بالها مطمئناً لا عليه ولا على نفسها ولكن حبها له وحبها لها كانا قد ملأا قلبها ونفيا الهموم منه . وقد رأت قبلاً رجلاً كثيراً من اعجبت بهم وسرت ببعضهم حتى لو خطب احدهم ودها فلربما كانت رضيت به زوجاً لها ولكن ديون هو الرجل الوحيد الذي مال اليه قلبها وحرك ساكن الحب في نفسها فعاشت في الايام الاخيرة بعد ان كاشفها بحبه كأنها في عالم الخيال الى ان تحققت امانى نفسها باقترانه بها

وجاء جورجياس وابناء خالها اريوس وسألوا عنه ومضوا فطلبت امها منها ان تنام وهي تسهر عليه بدلاً منها ولكنها لم ترد ان تبعد عنه بل حلت شعرها ومشطته وجدلته ثانية وهو اشقر غزير وعقسته حول رأسها وكانت الساعة الثانية بعد نصف الليل واذا بقارع يقرع الباب بعنف وكانت امها تنزع رفادة عن جرح ديون فخرجت هي الى الدار لتوقظ البواب لكنه لم يكن نائماً وقد سبقها وفتح الباب وكان اول من وقع نظرها عليه الكساس فدعرت من ذلك ودخلت ايراس وراءه وهي ملتفة بردائها لان العاصفة كانت لا تزال تعصف ودخل وراءها رجل يحمل فاناراً . وسلم الكساس عليها باحناء رأسه اما ايراس فلم تقل شيئاً ولم تبد اقل اشارة بل قدمت لها امر الملكة وقرأته بصوت عال فحمد الدم في عروقها وخارت قواها حتى كادت تقع على الارض لكنها تجللت قليلاً وطلبت منهما ان يدخلوا البيت لكي تعد نفسها للذهاب معهما وتودع امها فلم تجبها ايراس بكلمة بل قالت للبواب ادخل واحضر رداء سيدتك حالاً . فسار نحو الباب وحينئذ سألتها ايراس عما اذا كان ديون هناك فتشجعت بارين وقالت لها ان امر الملكة لا يخولك فحص ما في البيت . فانفضت ايراس رأسها ونظرت الى الكساس وقالت نعم ان التي يزورها الرجال بالعشرات لا ينتظر ان تعرف بيت كل منهم . فقال الكساس ولكن القلب ذاكرته قوية . فقالت ايراس "القلب" وصمت . وخرجت برنيكي حينئذ ومعها الرداء وكانت غيرة الموت على وجهها فوضعه على كتفي ابنتها ولفتها به واخذت تشجعها والدموع تساقط من عينيها لكن ايراس اعترضتها بقولها لبارين اتبعيني حالاً ومشت امامها . فعانقت امها عنفاً تحسب ان لا لقاء بعده وتبع ايراس وجلست معها في المركبة فسارت بهما الى قصر لوخياس كما تقدم ولم تكلمها كلمة في اثناء الطريق ولما وصلت بها الى القصر وادخلتها الى المقصورة حيث يراد ان تنتظر الملكة سألتها بعض المسائل فقالت لها بارين لا استطيع ان اقول لك شيئاً

وكان في تلك المقصورة مصابيح كثيرة ألا ان الريح كانت تدخل من خروق الكوى وتعبث بها وكانت العاصفة تئن وتزار خارج القصر ويمارجهما عجيج الامواج فيزيد بها ذلك الليل البهيم هولاً ويمائل قلبها في خفقانه. ألا انها كانت مطمئنة بان بين القلوب قلباً يحبها وقلباً يدعو لها بالنجاة. ثم ان الغيظ الذي خامر نفسها حينئذ من هذا الاستبداد قوى فيها قوة الاحتمال والمقاومة ولو اثبت لها عقلها انها مكتنفة بالخطر من كل ناحية ولا سيما لما رأت ايراس والكساس جالسين امامها يتساران فانه اذا فعل اهل البلاط ذلك امام غريب فهو دليل على احتقارهم له وعلى ان الملك غاضب عليه.

وكانت بارين قد تعلمت الصبر والتجمل وهي مقترنة بزوجها الاول لما كان متصفاً به من سوء الخصال والفعال ولكنها لما تركته عادت اليها انفتحت الاولى وقد رأت الآن ايراس تسر في اذن الكساس وتشير اليها وسمعه يضحك على الاثر فلم تكدر تستطيع على ذلك صبراً وارادت ان تجبر بما في نفسها من الاحتقار له وهذه الدناءة لكنها عادت ولجت لسانها غير ان نفسها جاشت ولم تجد لها منفذاً الا في البكاء فجعلت الدموع تهطل من عينيها

وكانت قد رأت ان الرداء الذي عليها ليس رداءها بل هو رداء امها وهو عنيق بال كآن امها ذهلت عن نفسها فلم تميز بين الردائين وعلمت ان ايراس تشير اليه مسرورة. وكانت ايراس قد انتهت الى ذلك الرداء وصرّت به لان الملكة لا بد وان تأتي الى تلك المقصورة بردائها الارجواني المعلم بالذهب انقاء البرد فيظهر الفرق بينها وبين بارين على اتم وتظهر بارين امامها كالشجادة. ألا ان الكساس لم يكن قد قطع الامل من الفوز على بارين يوماً ما ولذلك لم يكن يوافق ايراس في ما تنهك به. والظاهر ان قلبه حن على بارين في تلك الساعة اذا رآها وحيدة لناصر لها وبذلك تمتاز طباع الرجال على طباع النساء فانه مهما كان الرجل دنيئاً لا يطيق ان يسمع انين المظلوم من غير ان يرق له ولذلك قال لايراس ان من يحكم عليه بالقتل ويقف الجلاد فوق رأسه يسمح له ان يأكل ما يشتهي من الطعام وانا لا اتمنى لبارين الخير ولكنني لا امنعه عنها اذا جاءها اما انت فعلى الضد مني تسرين بصب الافستين على آخر لقمة تأكلها. فقالت نعم فان الانتقام اسر شيء لدي ولا سيما من امرأة. فقال عسى ان لا تجدي داعياً للانتقام مني فقالت اني لا اود الانتقام اخذاً بشار نفسي بل بشار التي وقفت لها نفسي. اسمع كيف يظهرون بهجتهم لها فانها سبت بكلامها عقول رجالها وقد قامت الافئدة لمضاداتها لكنها لا تزال الاولى بين النساء. هي الشمس تحجبها الغيوم لحظة ثم تضحل من وجهها. ولما قالت ذلك التفتت الى بارين وقالت لها كوني

على استعداد ودخل التشرىفاً حينئذٍ وقال لا يكون الاستقبال في هذه الغرفة بل في قاعة الصدف. ثم اخنى رأسه امام بارين ومشى امامها فتبعته ووراءها ايراس والكساس ومر من رواق الى آخر الى ان بلغ غرفة مقفلة الكوى امامها جماعة من الغلمان والحرس الخاص فقال الكساس لايراس لقد انتقلنا من فصل الشتاء الى فصل الربيع. فقالت نعم والفصول تروح وتجي في هذا القصر حسب المراد فتجد بعض غرفه بارداً في فصل الصيف وبعضها حاراً في فصل الشتاء ويا حبذا لو بقينا في الغرفة الاولى

واغتاضت ايراس لما رأت بارين قد طرحت رداءها عن كتفها حين دخولها هذه الغرفة فظهرت لابسة ثوباً ابيض نقياً يظهر جمال قامتها ووجهها وتبين فيه كفتاة في الثامنة عشرة من عمرها فانها لما رأتها في دار بيتها ظنتها لابسة قميص النوم لان النور كان ضئلاً جداً اما الآن فرأت انها لابسة ثوباً يصلح لبسة في عيد ايسس ولو بقيت الساعات تخار ما اخنارت ثوباً يصلح منه لتلك الساعة ثم رأت على ذراعها سواراً من الذهب الوهاج فذهلت وقالت هل تنام بحلاها. ولما امعنت نظرها وجدت ان هذا السوار مثل سوار كليوباترة تماماً وهي تحسب انه ما من احد في الدنيا يستطيع ان يلبس ما تلبسه كليوباترة من الحلى وخافت ان يكشف جمال طلعتها جمال كليوباترة فازدادت غيظاً وحنقاً. وكانت تبغضها بغضاً شديداً لانها هي السبب في ما تجده في نفسها من اليأس فانها كانت تحب ديون منذ نعومة اظفارها وقد ربا معها وكانت تأمل ان تقترن به يوماً ما ولكن جاءت بارين واختطفته منها فصرمت حبال آمالها. وزادت غيظاً الآن لانها كانت تظن انها انت بها بقميص النوم وبرداء قديم حقير فاذا هي آتية بانقر حلالها وحلاها ولو درت بذلك قبلاً لعمت الف واسطة منعتها بها من الظهور كذلك امام الملكة. فلامت نفسها شديد اللوم لاسيما وانه لم يعد في طاقتها ان تفعل شيئاً لان شارميان حضرت حينئذٍ. لكنها قالت في نفسها ان لم اقهرها الآن فالايام بيننا ولا بد من ان اقهرها يوماً ما ونظرت الى شارميان فلم تجد في وجهها العطف والحنو اللذين كانت تجدهما قبلاً فقالت لعلها انقلبت علي بسبب بارين بنت ليونكس الذي كانت تحبه فان كان الامر كذلك فلن تجد مني الا العداوة ولو كانت خالتي

وكانت شارميان قد رأت اخاها ارخيوس وكلته طويلاً وعرفت انه آتي ببارين الى القصر بامر الملكة فعملت انها لامر دُعيت في تلك الساعة من الليل وانه لا بد من شر ينتظرها فامرعت اليها ولما رأت بارين وجهها الصبوح وقد كلة الشيب خفق فؤادها وشعرت كما يشعر من في سفينة اشرفت على الفرق اذا رأى البرقرباً منه فهربت اليها كما يهرب الولد الخائف الى

امه ولم يكن يليق بشارميان ان تعانقها في القصر لكنها امسكت يديها وبشت في وجهها لكي تري ايراس انها آتية لتساعدھا. واسرّت بارين في اذنها قائلة بالله عليك ساعدني فان ايراس قد اهانتي وعذبتني ساعدني فقد فرغ صبري

فقلت لها شارميان كوني مطمئنة البال فان الملكة عادلة وحليمة وانا لا اتركك بل اساعدك بكل جهدي اما ايراس فلا تنتظري منها غير ذلك لانك سلبتها الرجل الذي كانت تحبه . ولا بد لك من ان تظهر امام الملكة بمظهرك الطبيعي من غير تصنع ولا تورّب ولا خوف وان تجيئها عما تسأله كما تجيئني او كما تجيئين ارخيوس

فشعرت بارين كأن حياة جديدة دبّت في عروقها والتفتت الى ما حولها فرأت جمال القاعة التي كانت فيها والغلمان والحرس واقفون بشياهم المقصبة والنار تنقد في الموقد فتزيد بهجة المكان ولا سيما اذا سمع المرء عصف الرياح خارجاً وعلم انه موقف من البرد والزهريز . واftكرت بديون وتعزّت بانّه مها اصابها فقلبت له لا لا ايراس ثم تذكرت ما قاله لها ارخيوس عن كليوباترة لما كانت في سن الصبا وقالت في نفسها يستحيل ان تكون ظالمة او جائرة . فامري متعلّق على نفسي فيجب عليّ ان اكتسب رضاها بكل واسطة ممكنة وشارميان معي وان كانت ايراس والكساس عليّ

كل هذه الافكار جالت في بالها ومرّت في ذهنها مرور البرق واذا بالثشريفاقي دخل وهو يقول ان جلالتها تنتظر الذين امرتهم بالحضور . ثم مشى و اشار الى بارين والبقية لكي يتبعوه ومشى معه احد رجال البلاط ومعه مروحة كبيرة من ريش النعام وساروا الى ان بلغوا مقصورة كبيرة رقيقة العماد جدرانها وسقفها مغطاة بالاصداف الكبيرة والصغيرة ونحو ذلك من المكونات البحرية وفي آخرها غار واسع من اعمدة الرواسب المائية فيه تنين كبير فاغراه وقد استعمل فاه موقداً للنار وعيناه من الزجاج الياقوتي فيخرج منهما نور احمر ساطع يملأ القاعة ويمتزج بنور مصابيحها وهي من البلور القرنلي في شكل ازهار النيلوفر ليقع نورها الوردي على وجه كليوباترة ويزيدها جمالاً . والوقود من العود وغيره من الاخشاب العطرية التي يؤتى بها من بلاد العرب وكان هناك كثيرون من الخدم والحشم والغلمان والسقاة والبزادة^(١) كانوا كلهم وقوفاً في انتظار الملكة حول عرشها وهو من الذهب والمرجان

وكانت بارين قد شاهدت هذه القاعة قبلاً وشاهدت ايضاً ما هو اجمل منها في قصر السباتيوم فلم تندش من رؤيتها ولكن ساءها وجود هذا العدد العديد من الخدم والحشم

وشعرت بخجل شديد كما كانت تشعر في صغرها اذا طلب منها ان تغني في حضرة الجمهور . ثم سمعت فتح باب ورأت يدًا تزيج ستارًا كبيرًا وانتظرت ان ترى النائب والمهردار وسائر الوزراء ورجال الدولة ماشين وراء الملكة والآن فلماذا طلبت مقابلتها في هذه القاعة الرسمية ولكنها لم تر احدًا منهم بل سمعت الخدم والحشم يهتفون الهتاف اليوناني وهو " الحياة والسعادة والصحة " الذي كان المصريون يقابلون به ملوكهم واذا بالملكة دخلت لما ازيج الستار وسارت الهوينيا ودنت ايراس منها حالاً وتبعها شارميان ورفعت الرداء عن كتفها وهو مصبوغ بالارجوان وقد طرزت عليه صور تنانين ذهبية على ارض سوداء فودت بارين ان تمسكه بيدها وتمعن نظرها فيه مع ان المخاطر كانت محدقة بها

ونظرت كليوباترة الى ما حولها ونقدت نحو عرشها فتذكرت بارين قول اريخيوس وهو انه ما من احد يرى كليوباترة ويسمع كلامها الا ويحبها وقالت ان كنت لا اشعر كذلك الا ان فيكون لما حدث اخيراً وهو مسبب عن الغيرة العمياء فاذا اذنت لي في الكلام اريها ان انطونيوس لم يكن يكثر لي ولا انا اكثر لقيصار يون فانني غيرتها

ووقفت كليوباترة والتفتت الى التشرنفاقي و اشارت بيدها الى العرش والذين حوله . وكانت قد سرت بما لقيته من رجالها في المجلس من الموافقة على رأيها ولذلك اخنارت هذه القاعة المبهجة لمقابلة بارين و اشارت الى حاشيتها بالانصراف لانها لم تعد عازمة ان تحاكمها بل ان تسألها بعض المسائل وقالت في نفسها لعلي قلقت أكثر مما يلزم ولا سيما في هذا الوقت الذي يقتضي الحلم وطول الاناة . واستبعدت ان رجلاً عظيماً مثل انطونيوس يميل الى اخرى وهو مغرم بحبها لاسيا وان رئيس العرافين قابلها بعد المجلس وقال لها ان انطونيوس لم يترك القتال ويتبعها الا لانه لم يصبر على فراقها قال ذلك لا على سبيل التملق بل على سبيل المكاشفة فانه رفع يديه وقال لها ابنتها الملكة التعيسة والزوجة السعيدة ان الاجيال المقبلة ستطوبك لان بطل الابطال طرح النصر والمجد وداسهما لاجلك . فسرّها هذا الكلام لانه كان لحكم الاجيال المقبلة شأن كبير في نفسها وقالت لا بد من ان يكون رئيس العرافين صادقاً فتذكرني الاجيال المقبلة ونقول انها كانت محبوبة أكثر من كل النساء . اما انطونيوس فاذا سلمنا ان الكاس استهوته حتى ترك القتال وتبعني فما الذي استهواه حتى كتب في وصيته ان يدفن الى جانبي اينما مات . فان المهردار اتى بهذه الوصية من رومية واراها اياها بعد انقضاء المجلس وكان انطونيوس قد كتبها وسلمها للعذارى القانتات في رومية واغتصبها اكتافيانوس منهن واراها لاهل رومية تحقيراً لاسم انطونيوس لكن كليوباترة سرت بها سروراً لا بوصف وثبت

لها منها ان قلب انطونيوس متعلق بها ولذلك لم تعد تهتم بامر بارين وعزمت ان تختصر الحديث معها على قدر الامكان لانها كانت موقفية بالفوز عليها

ولما وصلت الى العرش خرجت حاشيتها كلها من القاعة ولم يبق فيها الا شارميان وايراس وزينون والمهردار والتشريفاتي ونظرت الى العرش وكان الحضور ينتظرون صعودها عليه اما هي فبقيت واقفة في مكانها تنظر الى بارين ثم اشارت اليها باسمه لتدنو منها كأن ليس في الامر شيء مما تخشى منه ولم تكن بارين تنتظر ذلك فغلبتها عواطفها وتوردت وجنتها فزادت جمالا على جمال حتى حسبت كليوباترة انها صارت اجمل كثيرا مما كانت حينما رأتها اول مرة وجعلت تحسب مقدار عمرها فوجدت ان منظرها يدل على انها اصغر مما هي حقيقة .

وعجبت ايضا من اعتدال قامتها وهيئة الكبراء البادية عليها كأنها من اعظم اعظم المملكة وزادها عجباً نوع لباسها فان ايراس ايقظتها في نصف الليل ولا يمكن ان تكون قد سمحت لها بان تلبس وتنزى . وكانت تنتظر ان ترى في وجهها ما يدل على القحة وقلة الادب فوجدت فيها مهابة ودعة لم تكن تنتظرها وقالت انها فتاة جميلة المنظر عليها سياء الحشمة والادب ولا بد من ان تكون قد سبت الرجال بادبها وظرفها وصوتها الرخيم لا بالغنج والدلال اما عقلها فلا اظن انه يفوق عقل اترابها وكل ما تمتاز به علي حادثة سننها فان الزمان لم يسلبها لحة من لمحات الجمال ولكنه سلبني كثيرا منها ولو لم يعلم ذلك غيري وغير المقربات مني

فاحنت بارين رأسها ونقدت الهوينيا بادب واحشام وابتدرتها الملكة بالاعتذار عن استدعائها في تلك الساعة من الليل ثم قالت ولكنك من الطيور التي تطربنا بتغريدها ليلاً وترينا ما يخامر نفوسها . وكانت بارين تسمع كلامها وهي خاشعة البصر مطرقة الى الارض فاجابتها بصوت رخيم لا يكاد يُسمع وقالت نعم يا مولاتي اني اغني ولكن ليس لي موهبة اخرى من مواهب الطيور نعم لما كنت فتاة صغيرة السن كنت اطيرو على جناحي الخيال اما اذ انك الجناحان فقد فقدت قوتهمما الآن ولم يعودا يطاوعاني الا نادراً

فقال كليوباترة لم اكن انتظر ذلك منك ولا في ايام صباك وهو اثنى ما تملكينه ولكن لا بأس به فانا ايضا كنت اُحمل على اجنحة الخيال في حداثتي واسبق النسر في طيرانه ولكن اذا بلغ الانسان اشدّه لاق به ان يترك الاماني ويأخذ بالحقائق والادته امانيه من الشمس فاذا به حرقها شمع جناحيه كما اذاب الشمع من جناحي حيقار (ايكارس) واعلمي ان الخيال للصغار غذاء والكبار ملح وتوابل ولا شبهة في انه يرينا مسالك كثيرة ولكن الشيوخة تنغص العيش فلا يعود المرء يسر بمسلك منها . والحياة اذا حرمت اماني الخيال كالنبات اذا حرم

زهرة والورد رائحته والسماء نجومها

فتوردت وجنتا بارين وقالت . وانا طالما قلت هذا القول لنفسى ولكن ليس على اسلوب واضح جميل مثل اسلوب جلالتك لان الالهة رفعتك عنا ومنحك مواهب كثيرة وخيرات وفيرة لا نالها نحن الفقراء الا بالخيال

فقالت الملكة اتظنين ان السعادة مثل الغنى وان السعيد من ينال الحظ الاوفر منه كلاً فاني ارى الامر على ضد ذلك ومن زاد وجده زادهمه وعلى الانسان ان يرضى بدون ما هو فيه لكي يعيش سعيداً. ولا انكر ان الالهة وهبتني هبات كثيرة فانية لم تهبك اياها ولا وهبتها لكثيرات غيري ويظهر لي انك تحسبين لها قيمة كبيرة فقول لي ايتها تشتهين وتودين امتلاكه ولو بالتصور . فقالت بارين اعفني يا مولاتي من هذا الاختيار فاني لا اطمع بشيء من كنوزك اما المواهب الاخرى فاني فاقدة كثيراً منها ولكن لا اعلم كيف تناسبني لولتها وهي مخصصة بالعظماء الذين مثل جلالتك

الملكة — احسنت فان الاعرج اشتبه فرساً فركبه فوق فدى عنقه . والموهبة العظمى التي تسعد صاحبها لا توهب ولا تنقل من شخص الى آخر لان المرء قد يأخذها اليوم فتزول منه غداً . قالت ذلك متملة كأنها تلقي درساً من دروس الحكمة . ففهمت بارين مغزاها وقالت لها اظنك تشيرين الى الخير الاعظم الذي اشار اليه ايقورس وهو راحة البال

فابرت عينا كليوباترة وقالت ان جدك من فلاسفتنا فلا بد من ان يكون لك اطلاع على الفيلسوف الاكبر

بارين — اطلاع سطحي لان عقلي لا يدرك الفلسفة كما يدركها عقلك

كليوباترة — ولكن يظهر انك حاولت ذلك

بارين — بل البعض حاولوا اطلاعي على مبادئ الفلاسفة وقد نسيت الان اكثر ما تعلمته في صغري ولكن بقي منه شيء وهو ان نعيش حسب مقتضى الطبع فان ذلك راقي لاني اكره كل تصنع وكل تظاهر بما ليس في طبعي . وقد تعلمت من جدي انه ليس افضل لي من ان اقضي الحياة كما كنت وانا طفلة قبل ان اسمع كلمة من الفلاسفة او اعرف شيئاً من الفروض والمجاملات التي يتقيد بها الناس في معاشراتهم

فبدا السرور على وجه الملكة والتفتت الى شارميان وقالت هذا تعليم الفلاسفة الرواقيين الذي تعلمناه سوية يا شارميان او اه لو امكننا ان نعيش على موجب قواعده ولكن كيف نستطيع ذلك ونحن نرى في الطبيعة من المناقضات مالا ينطبق على العقل الذي منحنا اياه الالهة